قضايا فوق العادة

محمود عبد المنعم

(1) بصمات الدم

قضايا فوق العادة – محمود عبد المنعم

العدد (1): (بصمات الدم)

الطبعة الأولى ديسمبر ٢٠١٤

تصميم الغلاف: محمد مجدي

facebook.com/mohamed.magdy.3958914

تدقيق لغوي وتنسيق: إسلام علي

facebook.com/ISCOTO

المدير العام: رباب الشهاوي

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: **٢٠١٤/٢٦٢٠٥**

سلسلة (قضايا فوق العادة) عربية مائة في المائة، ولا تشوبها شبهة الترجمة أو النقل. تصدر بشكل دوري عن دار الفؤاد للنشر والتوزيع.

Alfouad_publishing@hotmail.com

facebook.com/fouadpublishing



دار الفؤاد للنشر والتوزيع

قضايا فوق العادة

محمود عبد المنعم

(١)

بصمات الدم

دار الفؤاد للنشر والتوزيع

المقدم مراد عبد الحميد .. ضابط مباحث بقسم قضايا فوق العادة بإدارة المباحث العامة بمديرية الأمن .. متخصص في القضايا الغامضة الشديدة التعقيد، والتي تنبع من الحوادث الخارقة للطبيعة والبعيدة عن أي منطق .. مغامراته تدور بين الأرواح والأشباح وأصحاب القوى الخفية والأساطير الرهيبة وأهوال العالم السفلى والسحر الأسود .. يسأل .. يحاور .. يبحث .. يغوص في مواقف مثيرة وأحداث مذهلة مخيفة ومرعبة .. معتمداً على شجاعته النادرة و ذكائه الحاد وثقافته التي لا حدود لها وقلبه الذي لا يعرف الخوف أبداً ..

(١) فتاة...

منطقة رشدي ـ الإسكندرية ـ ١١:٠٠ م

انهمرت الأمطار في غزارة، لتغمر الطرقات في تلك الليلة من ليالي الشتاء القارس، التي أجبرت الجميع على البقاء في بيوتهم أمام المدفأة، حتى بدت الأجواء شبه خالية من أوجه الحياة المعتادة داخل تلك المنطقة. وفي أحد الشوارع الجانبية الهادئة داخل ذلك الحي الفاخر، توقفت سيارة حمراء رياضية أنيقة بمحاذاة الرصيف، ليهبط منها شاب في أوائل الثلاثينات من عمره، وقد أمسك بإحدى يديه مظلة سوداء كبيرة، فتحها على عجل ليحتمي أسفلها من الأمطار المنهمرة، بينما دفع بيده الأخرى باب سيارته، لينغلق بصوت مكتوم، في نفس الوقت الذي ضغط فيه زر صغير في مفتاحها، لتُصدر صوت (السنتر لوك) المميز، والذي يعني بأن السيارة مغلقة بإحكام. وما إن دار على عقبيه استعدادًا لعبور الشارع، حتى اصطدمت عيناه بـ...

بتلك الفتاة!

فتاة شقراء جميلة الملامح، ترتدي سروالاً ضيقًا من الجينز الأزرق، فوقه قميص وردي خفيف لا يتلاءم مع برودة الجو، تمسك بكلتا يديها مظلة من نفس لون قميصها، تنظر إلى الشاب

بنظـــرة ثابتـــة، وعيناهـــا تلمعـــان ببريـــق عجيـــب.
اتسعت عينا الشاب في ذهول شديد؛ فللوهلة الأولى لم يتبين ملامحها جيدًا، ولكنه الآن يعرفها.
وفي صوت حمل مزيج عجيب من الدهشة والتوتر هتف:-
"(سها)! يا لها من مفاجأة!"
خُيِّل إليه أن صوت (سها) يخرج من أعماق سحيقة وهي تقول له:-"أريد التحدث معك حالاً".
قطب حاجبيه، هاتفًا وسط حالة الذهول التي لم تفارق وجهه:-
"الآن!!؟"
ثم ظهر الغضب على ملامحه وهو يستطرد:-"ألم تختاري الابتعاد غير عابئة بحبي وعشقي لكِ!؟ لقد تحملتُ جرحكِ لي، واحترمت قرارك وابتعدت، فماذا تريدين الآن؟"
اقتربت منه (سها)، ونظرت إلى عينيه مباشرةً، وهي تقول بوجه جامد خال من أي انفعال، وبصوت بارد كالثلج:-"أريد أن نتكلم معًا في مكان هادئ قريب من هنا".
ثم لانت ملامحها فجأة مستطردة:-"فأنت مازلتَ تحبني.. أليس كذلك؟؟"
ارتجف جسده للحظة، وبدأ شعور غامض ينمو بداخله. حاول أن يرفض، إلا أنه وجد نفسه يهز رأسه موافقًا، ويشير لها لتركب سيارته.
فهو بالفعل مازال يحبها، و...

وعادت السيارة تنطلق من جديد، وهي تحملهما معًا، وابتعدت وسط سطوع السماء بالبرق، ليعقبه هزيم الرعد، ويزداد المطر انهمارًا.

** ** ** **

منطقة ميامي - الإسكندرية – منتصف الليل تمامًا.

أطلق شاب زفرة ارتياح قوية، وهو يوقف سيارته إلى جانب الإفريز في ذلك الشارع الرئيسي داخل الحي الراقي، قائلاً:- "حمدًا لله! أخيرًا، بعد رحلة بحث طويلة، وجدت مكانًا لسيارتي".

ثم راح يجمع متعلقاته وأوراقه كلها، ليضعها في حقيبته الجلدية، وهو يدور برأسه، وعيناه تتأمل الرياح الشديدة الباردة، والتي هاجمت الإسكندرية، وكانت تضرب جوانب سيارته وتهزها بطريقة ملحوظة، و...

انتفض في مكانه، واتسعت عيناه في دهشة، عندما اصطدم وجهه فجأة بوجه فتاة مالت نحوه من خلف زجاج سيارته. نفس ملابس وأوصاف الفتاة السابقة، بالإضافة إلى الشعر الأشقر الناعم، المتناثر على وجهها من شدة الرياح، التي تدوي بالخارج إلى الدرجة التي منعت الشاب من أن يستشف ملامحها، و...

ومدت الفتاة يدها لتزيح خصلات الشعر المتناثرة على وجهها، لتظهر ملامحها الدقيقة الجميلة، وتتسع عيناه أكثر وهو يشهق في دهشة وذهول هاتفًا:-"من!؟ (هبة)!؟ غير معقول!!"

وجد نفسه يفتح الباب، وينزل من سيارته في سرعة، ويقف خارجها وهو يقول:-"لا أصدق نفسي!"

كانت الرياح شديدة لدرجة أنه كان يبذل مجهودًا كبيرًا، وهو يشد بقبضته على باب سيارته حتى لا يطيح منه، بينما قالت هي بنفس الصوت العميق:-"أريد التحدث معك".

أومأ برأسه، وهو يبتسم ويشير لها هاتفًا:-"دعينا نتكلم داخل السيارة أفضل".

دارت (هبة) حول سيارته إلى الجهة الأخرى، وفتحت الباب الجانبي وجلست بجواره، بينما هو ينظر إليها بسعادة قائلاً:-"لا أصدق أنك تجلسين بجانبي الآن، و..."

قاطعته في دلال ناعم:-"أما زلت تتذكرني؟"

هتف في سعادة وهو يسترجع ذكرياته معها:-"بالتأكيد.. كيف لي أن أنس أجمل حب في حياتي!؟"

تنهدت قائلة وهي تنظر بعيدًا:-"ومع ذلك تركتني مع أول فرصة جادة للارتباط".

صاح في لهجة بدت غاضبة بعض الشيء:-"لا.. لا.. لا تخلطي الأمور بهذا الشكل. لقد جئتُ إليكم، ووالدك تعمد أن يضع أمامي العراقيل حتى لا يتمم زواجنا، و...".

بتر عبارته فجأة، عندما تنبه إلى أمر أكثر أهمية، فقطب حاجبيه بشدة، وهو يستطرد متسائلاً:-"ولكن كيف علمتِ أنني أقيم هنا!؟ والأهم، ما سبب وجودك في مثل هذا التوقيت المتأخر؟"

لمع بريق عجيب في عينيها، وهي تنظر مباشرةً إلى عينيه قائلة بحروف بطيئة باردة:-"قلتُ لك أريد أن أتحدث معك".

ثم أشارت بيدها إلى الأمام، وهي تستطرد بنفس اللهجة العميقة المخيفة:-"دعنا نذهب إلى مكان هادئ أعرفه جيدًا؛ لنتحدث بشكل تفصيلي عن علاقتنا".

تأملها للحظات بعيون خاوية، ثم أومأ برأسه في بطء، وأدار سيارته وانطلق بها مبتعدًا في صمت واستسلام تام.

** ** ** **

منطقة العجمي - الساعة الواحدة صباحًا..

الفتاة الغامضة تقف أسفل شجرة كبيرة، تنظر بترقب واهتمام، تبحث عن شيء ما في تلك الساعة المتأخرة، والتي اختفى فيها الجميع يحتمون ببيوتهم هربًا من الشتاء القارس. وفجأة اقتربت سيارة رياضية حمراء حديثة، ليهبط منها شاب رياضي أنيق، فابتسمت هي عندما وجدت ضالتها، واتجهت إليه في سرعة.

تكلمت معه قليلاً، و...

وأشار لها، فجلست بجواره داخل السيارة، وانطلقا معًا...

** ** ** **

(٢) اختفاء...

- "هل رأيت المقدم (مراد عبد الحميد)؟"
نطق رجل قصير القامة طيب الملامح عبارته هذه في صوت تملؤه اللهفة، لزميله الذي قابله قادمًا من الاتجاه الآخر، داخل إحدى ممرات الدور السادس بمبنى مديرية أمن الإسكندرية، فأجابه زميله:-"ستجده في مكتبه. لم يخرج منه منذ ثلاث ساعات"
تركه الرجل وواصل سيره، وهو يتمتم في خفوت وتعجب:-"موجود في مكتبه ولا يرد على هاتفه الأرضي أو المحمول!؟ لماذا؟؟"
بقى سؤاله بلا جواب، حتى وصل إلى تلك اللافتة الذهبية المعلقة بجوار باب إحدى الحجرات، وقد كُتِب عليها اسم بطلنا بخط ديواني أنيق، فطرق على الباب وانتظر لحظة، ثم فتحه في سرعة و...
واتسعت عيناه في دهشة عظيمة!
فقد اصطدمت عيناه بظلام دامس عجيب، رغم أن الوقت لم يتعدّ الثانية بعد الظهر، والغيوم الكثيفة التي تغطي السماء لم تكن لتجعل المكتب بهذا الشكل المخيف، بدون نقطة ضوء واحدة!
إلى الدرجة التي هتف معها قائلاً:-"ما هذا!!؟؟"

خطا بقدميه إلى الأمام قليلاً، وامتدت يده تبحث عن زر الإضاءة و.. فجأة...

وجد يدًا قوية تقبض على معصمه، وتدفعه إلى الداخل وتغلق الباب في عنف! فصرخ الرجل:-"ماذا يحدث هنا؟؟"

وهنا أُضيئت أضواء الغرفة بغتة، فغطَّى الرجل عينيه، في نفس الوقت الذي تصاعد صوت مألوف يقول له:-"أتقدم باعتذاري لك يا (صبحي) على هذا الموقف"

رفع (صبحي) يديه من فوق عينيه، وهو يزفر في حنق قائلاً:-"أيها المقدم (مراد).. لقد أرعبتني. لماذا تفعل بي ذلك!؟ ولِمَ تجلس وحيدًا هكذا في الظلام ولا ترد على هواتفك!؟"

كانت عيناه قد اعتادتا على الضوء بسرعة، ليجد المقدم (مراد)، بقامته الممشوقة وملامحه الهادئة، يقف عند مكتبه عاقدًا ساعديه أمام صدره، وعلى وجهه ابتسامه صغيرة، فتابع (صبحي) قائلاً:-"مدير القسم يبحث عنك، ويريدك في الحال".

رد (مراد) في صوت قوي، وعلى ملامحه الجدية الشديدة:-"حسنًا.. سأذهب إليه حالاً".

سأله (صبحي) في حيرة:-"ولكن لماذا تـ..."

قاطعه (مراد)، وقد عادت الابتسامة الصغيرة ترتسم على ملامحه:-"كنت أحاول التواصل معه".

ارتفعت حاجبا (صبحي) في تعجب ،وهو يكرر:-"معه!!"

ثم سأل في دهشة:-"مع من؟؟"

أشار (مراد) بعينيه في الفراغ، وهو يجيب:-"مع الجني الذي يسكن مكتبي".

اتسعت عينا (صبحي) في جزع وخوف، وهو يتمتم:-"سلامٌ قولاً من رب رحيم! وهل هناك جان في مكتبك!؟؟"

أجابه (مراد) في هدوء لا يتناسب مع كلماته:-"بالطبع.. إنهم يعيشون بيننا.. يأكلون ويشربون، ويتحدثون، وينتقدون تصرفاتنا، ويحزنون ويفرحون معنا، وينامون بجوارنا أيضًا".

سرت قشعريرة باردة في جسد (صبحي)، وحاول أن يبدو متماسكًا، وهو يقول في توتر:-"أنت تحاول أن تسخر مني.. أليس كذلك؟"

هز (مراد) رأسه نافيًا:-"لا تقل ذلك يا (صبحي).. وأنت بالتأكيد تعلم أن ما أقوله صحيح".

قطب (صبحي) حاجبيه، وقال وهو يلوح بيده، ويستعد للخروج من المكتب:-"نعم أعلم.. أعلم.. ولكن لن أغفر لك أبدًا ما فعلته عندما دفعتني إلى داخل المكتب بهذا الشكل، رغم أن هذا ليس أسلوبك أبدًا مع زملائك".

تجمدت ملامح (مراد) للحظات، ثم تنهد وهو يغمغم في هدوء مخيف:-"لم أكن أنا الفاعل"

هبط قلب (صبحي) بين قدميه، وازدادت عيناه اتساعًا في رعب، وتجمدت أطرافه، وتوقفت الكلمات في حلقه، وهو يتخيل ما

يرمي إليه. وبصعوبة بالغة هتف:-"أنت تحاول خداعي.. أنت تحاول خداعي!"

ثم اندفع خارج المكتب، وكل ذرة من ذرات جسده ترتجف في عنف، بينما مط (مراد) شفتيه، بينما يتأمل بعينيه فراغ حجرة مكتبه، ثم ينظر إلى قلمه الموجود على سطح مكتبه ويغمغم:- "أتمنى أن تصدقني يا (صبحي).. أتمني".

وتحرك متجهًا إلى باب مكتبه، ومد يده إلى مفتاح الإضاءة ليغلقه، ثم أغلق الباب وراءه، واتجه في خطوات سريعة حازمة إلى المدير.

وفي مكتب (مراد)، ووسط الظلام الدامس، الناتج عن تلك الستائر الثقيلة التي تغطي النافذة والحائط كله..

تحرك القلم ليتدحرج يمينًا ويسارًا، بصورة منتظمة، وكأن أحدهم يلهو به.

أحدٌ منهم.

** ** ** **

دلف (مراد) إلى حجرة سكرتير المدير، الذي وقف في ثبات حازم، قائلاً بلهجة عسكرية:-"مرحبًا بسيادة المقدم.. المدير في انتظارك".

منحه (مراد) تحية عسكرية صامتة، ثم دق باب حجرة مكتب مدير قسم [قضايا فوق العادة] في رفق، وسمع صوت المدير وهو يقول من الداخل:-"تفضل".

دفع (مراد) باب المكتب في هدوء، ودلف إلى الداخل فاستقبله المدير قائلاً:-"أين كنت يا (مراد)!؟ لقد كنتُ أبحث عنك".
ثم أشار إلى (مراد) بالجلوس مستطردًا:-"هناك مهمة عاجلة تنتظرك".
جلس (مراد) على المقعد المقابل لمكتب المدير قائلاً:-"وأنا رهن إشارتك يا سيدي".
شبك المدير أصابع كفيه أمام وجهه، وبدا الاهتمام والجدية الشديدة على ملامحه، وهو يقول:-"ثلاث حالات اختفاء لشباب في ريعان شبابهم، لا تربطهم أي علاقة ببعضهم، يعيشون في مناطق مختلفة، من عائلات مختلفة ميسورة الحال ومشهود لها بالاحترام، ولا توجد أي شبهة واحدة تعكر صفو تاريخهم. الثلاثة ناجحون في أعمالهم، ليست لديهم مشاكل، حياتهم طبيعية جدًا. الأول يدعي (أمجد فهمي)، مهندس بترول. والثاني (أحمد إبراهيم)، محاسب في إحدى شركات الاتصالات الكبرى. والثالث (كريم مصطفي)، مدرب تايكوندو في أحد النوادي الشهيرة، وهو من عائلة ثرية جدًا. الأول والثاني سبق لهما أن مرا بتجربة خطبة ولكنها لم توفق، وقد تجاوزا تلك الأزمة ويعيشان حياة طبيعية، أما الثالث فهو مطلق ولديه طفلة صغيرة تعيش مع والدتها المتزوجة حاليًا من دكتور شهير، وحسب تحريات المباحث ليست هناك أية مشاكل أو حتى قضايا بينهم".

انعقـد حاجبـا (مـراد) وهـو يتمـتم فـي خفـوت:-"إذن فـالجميع سعداء!"

أومأ المدير برأسه إيجابًا وهو يضيف:-"بالضبط.. ليس هنـاك أي مبـرر قـوي لأي مـنهم لكـي يختفـي أو يتخـذ قـرار الاختفـاء مثلاً".

ثم تنـهد وهو يستطرد:-"ولكن هناك أمران".

انتبهت كل ذرة في جسد (مراد)، ومديره يتـابع:-"حـارس العقـار الذي يسكن فيه الأول هو آخر من شاهده، وقد أكد أن هنـاك فتـاة أوقفت (أمجد) عقب نزوله من سيارتـه، وتحدثت معه لدقيقة، ثم أشار لها لتركب معه، وانطلقا معا".

ظهرت الدهشة على وجه (مراد) وهو يكرر:-"فتاة!؟"

ثم استطرد متسائلاً:-"هل حدد أوصافها؟"

مـط الـدكتور شـفتيه، وهـو يهـز رأسـه قـائلاً:-"للأسـف لا؛ فالمسـافة، وظلمـة الليـل، والأمطـار الغزيـرة، بالإضـافة إلـى الإضـاءة الخافتـة فـي شـارعه؛ كلهـا عوامـل منعتـه مـن تحديـد ملامحها. ولكنه تعجب من ملابسها الخفيفة التي لم تكن تتناسب أبدًا مع برودة الجو".

ساد الصمت للحظات، ثم عاد (مراد) يسأله في حزم:-"والأمر الثاني؟؟"

أجابه المدير:-"بعد الإبلاغ عن اختفائهم، وعمل التحريات اللازمة، وتمشيط كافة المناطق بحثًا عنهم، وجدنا سياراتهم. سليمة وفي شارع واحد".

عقد (مراد) حاجبيه، وهو يسأل مرة أخرى وباهتمام بالغ:-"كيف هذا!؟"

صمت المدير لحظة؛ ليلتقط أنفاسه، وينظم أفكاره، ثم تابع- "السيارات سليمة ليس بها خدش واحد، أو حتى فُقِد أو سُرِق منها شيء كما أكَّد أقارب الضحايا. والأعجب أننا وجدناهم في أماكن متقاربة جدًا، داخل شارع واحد بمنطقة (كفر عبده) الشهيرة، والبصمات التي تم رفعها منها كلها تخص الضحايا وأقاربهم. فقط هناك جزء من بصمة واحدة تم رصدها ورفعها من مكان واحد هو قابض الباب الأمامي الأيمن لكل سيارة من السيارات الثلاث، تمت مضاهاتها مع بصمات الأقارب والمعارف والأصدقاء لكل ضحية من الضحايا الثلاث، ولكن كانت النتائج سلبية. وقد قمنا أيضا بتمشيط الشارع والمنطقة بأكملها ولكن دون جدوى".

وهنا ارتفع صوت سكرتير مكتبه من جهاز خاص بجانبه، يقول بلهجة قوية:-"لقد حضر رئيس المباحث الجنائية".

ضغط مدير القسم زرًا خاصًا بالجهاز، وقال بصرامة:-"أدخِله فورًا".

ثم التفت إلى (مراد) مستطردا:-"خطورة وأهمية القضية جعلته يحضر بنفسه".

ثم مال إلى الأمام، متابعًا في خفوت، وبلهجة تشير إلى أهمية الأمر:-"انتبه جيدًا.. هذا الرجل يقلل من أهمية القسم، بل ويعتبر إنشاءه إهدارًا للمال العام، فلا تلتفت لبعض كلماته، وحاول أن تتجاهل رنة السخرية في حديثه".

تأمله (مراد) للحظة، ثم هز كتفيه في لامبالاة.

ودون تعليق واحد.

** ** ** **

(٣) القضيـة...

دلـف اللـواء (هاشـم حمـاد) رئـيس المباحـث الجنائيـة، بملامحـه الحادة القوية، إلـى مكتـب مـدير القسم، الـذي وقـف هـو و(مـراد) لاستقباله بعد أن تبادلا معه التحية العسكرية. وأشـار المـدير إلـى (مراد) قائلاً:-"أقدم لسيادتكم المقدم (مراد عبد الحميد)".

مـد اللـواء (هاشـم) يـده مصـافحًا (مـراد)، قـائلاً وسـط ابتسـامة صغيرة:-"أعرفه.. لقد رأيته في حفل عيد الشرطة الماضي".

ارتسـمت ابتسـامة هادئــة علــى وجــه (مــراد)، وهــو يبادلــه المصافحة قائلاً:-"مرحبا يا سيدي".

وبعـد أن جلـس الجميـع، قـال اللـواء (هاشـم) فـي لهجـة بـدت سـاخرة:-"لقـد ذاع صـيتك مـؤخرًا بـين زملائـك؛ بفضـل بعـض القضايا التي توليت التحقيق فيها، وتقاريرك عنها، التي فـي رأي أغلبهم، هي أقرب للخيال وليس الواقع".

قال (مراد) فـي هدوء وثبـات، وهو يعقد سـاعديه أمـام صدره:-"ربما يبدو الأمر بالنسبة إليهم خياليًا؛ وهذا يعود لعدم اهتمامهم بعلوم (الميتافيزيقا)، أو (ما وراء الطبيعة)".

أطلـق اللـواء (هاشم) ضـحكة سـاخرة قصيرة، وقـال:-"هل تعلـم أنهم يسمونك في الإدارة (الشيخ مراد)؛ بعد قضيتك الأخيرة التي قمت فيها بطرد الجان من قصر عائلـة الفيومـي".

ارتسمت ابتسامة هادئة على وجه (مراد)، وهو يهز رأسه:-"لم يكن جنيًا.. بل شبحًا".

اعتدل اللواء في جلسته، وهو يسأل وسط ابتسامة الساخرة:- "وهل هناك فارق؟"

أوضح (مراد):-"بالطبع؛ فالشبح هو في الأصل الجسم الأثيري لشخص توفي، وكانت وفاته عنيفة ومفاجئة. والذي يموت بهذه الطريقة- وهو الموت المفاجئ دون مرض، والذي ينتج عن حرق أو غرق أو قتل- يظل جسمه الأثيري هائمًا في المكان الذي قُتِل فيه لفترة طويلة، وكم سمعنا من قصص عن أناس ماتوا في مكان ما، ويظهرون في المكان الذي قتلوا فيه. والشبح يستمد قوته من مادة الأكتوبلازم الموجودة فينا كأحياء، وهي عبارة عن خلايا بشرية شفافة وغير مرئية +كلوريد الصوديوم وفوسفات وكالسيوم، وهي مادة لا غنى عنها لإحداث الكثير من الظواهر الميتافيزيقية، سواء كان تجسدًا جزئيًا أو تجسدًا كليًا. فلذلك يكون ظهور الأشباح أو الأجسام الأثيرية أمرًا سهلاً. التشكل كطيف يجسد صاحبه فقط، والبعض يسمونه القرين. بعكس الجان الذي هو مخلوقات من نار، لديها قدرات خارقة في التجسد بالشكل الذي تريده، وبأي هيئة، في أي وقت، وفي أي زمان أو مكان".

تأمله اللواء (هاشم) للحظات، ثم سأله ورنة السخرية مازالت تسيطر على لهجته:-"من أين تأتي بهذه المعلومات يا شيخ (مراد)؟؟"

قال (مراد) في جدية شديدة:-"إنه علم.. علمٌ يا سيدي".

ثم استطرد قائلاً:-"ثم دعهم يقولون ما يشاؤون؛ فالمسألة ليست شعوذة أو حيل، والجان والأشباح والقوي الخفية كلها أشياء معروفة عبر التاريخ، تؤثر فينا ونؤثر فيها، ومع ذلك كثير منا لا يعترف بها ويتجاهلها، بل ويعتبرها ضرباً من الجنون".

قطب اللواء حاجبيه، وهو يقول بشيء من العناد:-"ولكن من الممكن أن تمر حياتنا كلها دون حدوث أي شيء غامض أو غير منطقي، أو نرى حتى جنيًا أو شبحًا مثلاً".

هتف (مراد) في سرعة:-"هذا لا يعني أنهم غير موجودين، وعدم رؤيتهم ليس غريبًا؛ فقد ثبت علميًا عدم قدرة الإنسان على رؤية كل شيء؛ فالنحل يرى الأشعة فوق البنفسجية ولا يراها الإنسان، والبومة ترى الفأر في ظلمة الليل المعتم. وإذا كنا لا نرى هذه المخلوقات، فبعض الأحياء يرونها؛ فالحمار والكلب يريان الشياطين، والديوك ترى الملائكة، والذئاب يخشاها الجان لأنها تأكلهم وتفترسهم".

تبادل اللواء والمدير نظرات الدهشة، و(مراد) يستطرد مرة أخرى:-"وعلى عكس ما تقوله يا سيدي، معظمنا يتعرض

لأحداث ومواقف غير منطقية وليس لها تفسير، ولكن عقولنا أصبحت مليئة بأعباء الحياة الكثيرة والثقيلة، والتي جعلتنا لا نشغل بالنا أو تفكيرنا فيها".

سأله اللواء:-"مثل ماذا؟؟"

أجابه (مراد):-"مثلاً أنت تقسم بأنك وضعت مفتاحك هنا، وفجأة لا تجده وتبحث عنه كثيرًا في الحجرة، ثم فجأة أيضًا تجده أمام عينيك. كذلك عندما تتذكر فجأة شخصًا ما فتجده إما أمامك أو يتصل بك. أيضًا الأم التي تستيقظ فجأة من نومها، وتذهب مسرعة إلى طفلها الصغير، لتنقذه بعد أن كان على وشك السقوط من سريره. الأمثلة كثيرة وعديدة".

هز اللواء رأسه، وهو يقول وقد بدا أنه غير مقتنع بما يسمعه:-"أفكارك عجيبة حقًا، تصلح معها كرجل روحانيات وليس كرجل مباحث محترف".

وهنا سأله (مراد) بصورة مباغتة ومباشرة:-"ولماذا إذًا أنشأت الوزارة قسم قضايا فوق العادة؟"

للحظة، ارتبك المدير من هذا السؤال المفاجئ، في حين اتسعت عينا اللواء في دهشة، ثم أجابه في برود مستفز:-"خطأ.. خطأ سيتم تداركه قريبًا".

ومع ذلك سأله (مراد) في هدوء شديد:-"ولماذا اخترتني؟؟"

هز اللواء رأسه نافيًا:-"لا.. لم أخترك. ولكن كثيرين، وعلى رأسهم مديرك، لديهم اعتقاد راسخ بأنك أفضل من يتولى هذه القضية".

نظر إليه (مراد) في برود شديد، وبدت ابتسامة ساخرة على شفتيه، وهنا تدخل المدير قائلاً له مدافعا عن (مراد):-"الحقيقة، ومنذ التحاق المقدم (مراد) بقسم قضايا فوق العادة، وهو يبلي بلاءً حسنًا تجاه كل قضية يتولاها. وقد وقع اختياري عليه لكشف غموض ما يحدث؛ لأنه ينظر للأمور بأسلوب مختلف، ويفكر بطريقة مختلفة أيضًا، وأداؤه غير تقليدي في تناوله للقضايا الغامضة؛ فما يهمنا هو الحقيقة".

صاح اللواء (هاشم) وهو يرمق (مراد) بنظرة خاصة:- "بالضبط!"

ثم ناول (مراد) ثلاثة ملفات مستطردًا:-"هذه هي ملفات الحالات الثلاث. بها كل شيء عنهم وعن حياتهم، وهي خلاصة تحريات المباحث طوال أسبوع كامل".

قطب (مراد) حاجبيه، وهو يتصفح بنظرة سريعة كل ملف على حدة، وبعد دقيقة كاملة من الصمت، نهض اللواء (هاشم) من مكانه قائلاً وهو يستعد للخروج من مكتب المدير:-"حسنًا.. كل المعلومات متاحة لديك الآن.. وفي انتظار النتائج في أسرع وقت؛ خاصة أن الإعلام يولي اهتمامًا غير عادي بالقضية،

وأهالي المختطفين أصبحوا يملؤون شاشات القنوات الفضائية، والإعلاميين يتهموننا بالتقصير، و..."

قاطعه (مراد) في حزم قوي، وعينيه مازالت تقرأ فحوى الملفات:-"هناك ثلاثة أمور هامة جدًا تربط بين الثلاثة المختفين.. بخلاف البصمة بالطبع".

نظر إليه المدير في دهشة، بينما اكتسبت ملامح اللواء الجدية الشديدة، وهو يسأل:-"وما هي هذه الأمور الثلاثة؟؟"

رفع (مراد) عينيه إليه، والتقط نفسًا عميقًا مستطردًا:-"الأمر الأول أن أعمارهم متقاربة جدًا؛ فالأول والثاني ٣١ سنة، والثالث ٣٣ سنة. وهذا هو متوسط الشباب وقمة العطاء والصحة الجسدية. والأمر الثاني، وهو الأهم، أن الثلاثة يمتلكون فصيلة دم واحدة وهي (O) سالب".

عاد اللواء والمدير يتبادلان النظرات المتسائلة، ثم قال الثاني:-"وماذا تستنتج من هذا؟؟"

تنهد (مراد)، ثم أجاب بأسلوب شديد الحزم:-"يجب أن نعرف أولاً أن فصيلة (O) جاءت من كلمة **Originl**؛ أي الأصل؛ حيث ظهرت مع بداية الخليقة، وتوارثها الإنسان القديم الأول مع عاداته الغذائية، حيث كان يقوم باصطياد الحيوانات وأكلها نيئة في البداية. وككل الفصائل هناك منها الموجب والسالب. السالب

منها نادر جدًا جدًا، وفي حالة نقل الدم مثلاً لابد أن يكون من نفس هذه الفصيلة النادرة، وهذا أحد تفسيرات اسم الفصيلة". *

قطب المدير حاجبيه وهو يقول في اهتمام واضح:-"ماذا تريد أن تقول تحديدًا؟؟"

أجابه (مراد): "أريد أن أقول إن هناك من كان يراقبهم ويتتبعهم، وربما يعرفهم جيدًا، ثم قام باختطافهم. لم يكن بهدف سرقتهم؛ فمتعلقاتهم وسياراتهم موجودة، ولم يكن بهدف الابتزاز مثلاً؛ فلم يتصل أحد بذويهم طلبًا لفدية ما؛ وإنما كان اختطافهم، وبكل تأكيد، لأنهم يملكون شيئا نادرًا".

انتقل اهتمام المدير إلى صوت اللواء، الذي تخلى عن سخريته وهو يسأل:-"وهذا الشيء النادر هو دمهم؟؟"

هز (مراد) رأسه نافيًا، وهو يقول:-"كلا"

اتسعت عينا اللواء، وهو يهتف متسائلاً في تعجب:-"أليس هذا ما كنت تقصده بكلامك الآن!؟"

مال (مراد) إلى الأمام، وهو يتابع في لهجة قوية حازمة:-"ما قصدته هو أعضائهم.. أعضاء جسدهم. القلب، الكلية، الكبد، أي

---

* هناك تفسيرات أخرى لأصل التسمية؛ أشهرها أن حرف الـ O هنا يرمز للصفر (zero)، والذي يوافق الحرف O في الشكل. والسبب أن المستضدات (Antigen) الموجودة في خلايا الدم الحمراء للإنسان إما أن تكون (A) أو (B)، وفي حالة فصيلة الدم O، تكون خلايا الدم الحمراء خالية من المستضدات بنوعيها، أي أن مستضداتها تكون صفرًا.

شيء داخل جسدهم التابع لهذه الفصيلة النادرة، سعره مرتفع جدًا في بورصة الأعضاء البشرية".

هز اللواء رأسه، وبدت على وجهه علامات التفكير، وهو يغمغم في بطء:-"إذن من الممكن أن نكون أمام عصابة متخصصة في هذه التجارة اللعينة".

أشار (مراد) بيديه وهو يقول:-"هذا مجرد استنتاج مبدئي".

ساد الصمت للحظات قليلة، قطعها المدير وهو يسأل:-"والأمر الثالث؟؟"

قال (مراد):-"الشارع.. وجود السيارات الثلاث في هذا الشارع بهذا الشكل يعني أن نقطة الاختفاء كانت هناك، ويعني ببساطة أن مفتاح حل اللغز كله يكمن فيه".

هز اللواء رأسه قائلاً وهو يغادر الغرفة:-"حسنا.. أتمنى أن أرى نتائج جيدة في القريب العاجل".

صاح المدير:-"بإذن الله تعالى".

ثم استطرد قائلا لـ (مراد)، الذي نهض واقفًا:-"هناك أمر هام آخر يا (مراد)".

تساءل (مراد):-"ما هو يا سيدي؟"

قال المدير وسط ابتسامة صغيرة:-"سيكون برفقتك فتاتان برتبة نقيب تقدمتا بطلب للالتحاق بقسم قضايا فوق العادة".

اتسعت عينا(مراد) وهو يكرر في دهشة:-"فتاتان!؟"

رمقه المدير بنظرة صامتة، ثم قال والابتسامة لم تفارق وجهه:-
"نعم فتاتان.. هل هناك اعتراض؟"
هز (مراد) رأسه نافيًا، قائلاً:-"على العكس تمامًا يا سيدي؛ فأنا أرى أن القسم في حاجة إلى المزيد من الأفراد، وأيضًا أؤمن بأنه من الضروري نقل الخبرات إلى أجيال جديدة؛ لأن هذا يعد واجبًا وطنياً بالدرجة الأولى، نضمن به استمرار العمل والنجاح بالقسم. ولكن كنت أتصور أن عملنا يتناسب أكثر مع الرجال".
ضحك المدير ضحكة قصيرة وهو يصيح:-"لم أكن أعرف أنك ضد مبدأ المساواة. آه لو استمعت لجان حقوق المرأة إلى رأيك هذا!"
تنهد (مراد)، وهو يقول بوجه باسم:-"أنا من المؤمنين بدور المرأة الهام والمؤثر في المجتمع".
ثم أضاف بجدية شديدة:-"ولكني أتكلم عن طبيعة عملنا هنا".
عاد المدير ينظر إليه في صمت، ثم قال بلهجة شبه آمرة:-"على كل الأحوال ليس هناك ما يمنع من خوض التجربة، لذا ستكونان تحت التدريب، وستعملان تحت قيادتك، وسأنتظر تقييمك لهما في نهاية المهمة".
أومأ (مراد) برأسه موافقًا، وأدى التحية العسكرية بصورة روتينية، وغادر المكتب وأعماقه تهتف:-"فتاتان! يا لها من مسئولية كبيرة يا (مراد)!"

** ** ** **

(٤) البحث...

بخطوات سريعة حازمة كان (مراد) يتجه إلى مكتبه، و...

- "سيادة المقدم (مراد).."

التفت (مراد) بحركة حادة إلى صاحبة الصوت، ليرى أمامه فتاة جميلة ذات بشرة بيضاء، تحمل وجهًا باسمًا جذابًا، وملامح رقيقة، وعينين براقتين لهما لونًا بنيًا فاتحًا، وشعرًا قصيراً ينسدل بنعومة شديدة ليحيط بوجهها. كانت تتأمل ملامحه أيضًا وهي تمد يدها لتصافحه قائلة:-"النقيب (دعاء جميل) في خدمتك يا سيادة المقدم".

مد (مراد) يده يصافحها في صمت، ثم رد بكلمات روتينية:- "مرحبا بك في قسم (قضايا فوق العادة)".

عاد يسير بخطوات سريعة، و(دعاء) تحاول ملاحقته وهي تهتف:-"يسعدني ويشرفني العمل معك يا سيادة المقدم".

توقف (مراد) أمام أحد مصاعد المبنى وهو يقول:-"ونحن أيضًا".

ثم التفت إليها يسألها:-"لماذا أردتِ الالتحاق بقسمنا هذا؟"

رمقته بعينيها الجميلتين للحظة واحدة، ثم أجابت في هدوء:- "أردت اكتساب خبرة في مواجهة القضايا الغامضة".

عاد يسألها بلهجة حادة بعض الشيء:-"هل لديكِ فكرة عما نواجهه في هذا القسم؟"

تجمدت ملامح (دعاء)، وقالت بشيء من التحدي:-"بالطبع.. وأعرف كيفية التعامل مع مختلف المواقف الصعبة؛ فلقد اجتزت بتفوق تدريبات الرماية، وفنون القتال المختلفة، وحاصلة على تقدير عال في اختبارات الذكاء، و..."

قاطعها متسائلاً في هدوء:-"وهل تتصورين أن هذا يكفي!؟"

قطبت حاجبيها، وهي تقول في غضب واضح:-"ماذا تقصد؟؟ سؤالك هذا إهانة لي".

تنهد (مراد)، ثم قال بكلمات تحمل بعض الود:-"لا أقصد إهانتك.. ولكني أخشى عليكِ من مهام هذا القسم، قسم قضايا فوق العادة. يمكنك أن تستنتجي نوعية هذه القضايا، وكمّ المخاطر التي نواجهها.. ليس من مجرد مجرمين أو منحرفين أو حتى قتلة.. بل من أشباح أو جان أو أناس يمتلكون قوى خارقة ضد المنطق والطبيعة. كل هؤلاء يجمعهم شيء واحد هو الشر.. شر من نوع خاص مخيف ومرعب، يحتاج لمواجهته قدرات خاصة جدًا".

قالت (دعاء) في هدوء حازم:-"نعم.. أعلم ذلك؛ فقد اطلعت على ملفات بعض القضايا، وأدرك تمامًا ما يمكن أن أواجهه، وعلى أتم الاستعداد لذلك".

ظهرت ابتسامة صغيرة على وجه (مراد) وهو يقول:-"حسنًا.. لقد أردت تحذيرك.. والآن..."

ناولها الملفات الثلاثة مستطردًا:-"سأسند إليكِ مهمة عاجلة".

ظهرت السعادة على وجه (دعاء)، وأخذت الملفات الثلاثة، بينما (مراد) يتابع:-"بعد أن تقومي بعمل نسخة لكِ من هذه الملفات ودراسة القضية جيدًا، ستذهبين إلى منازل المختفيين الثلاثة. أريد تفتيش حجراتهم تفتيشًا دقيقًا، وأي شيء.. أي شيء ليس عاديًا أو منطقيًا، حتى ولو كان تافهًا بالنسبة لك، عليكِ أن تخبريني به فورًا عبر هاتفي".

أومأت برأسها بالإيجاب، بينما ناولها الكارت الخاص به، وهو يضيف:-"أما أنا فلدي مهمة خاصة جدًا".

همت (دعاء) بقول شيء ما، إلا إنها فوجئت بـ (مراد) يستقل المصعد في سرعة، تاركًا إياها وعلى وجهها ارتسم مزيج من الدهشة والحيرة، ولكنها هزت كتفيها وتحركت في خطوات سريعة لتنفذ مهمتها.

** ** ** **

كانت الساعة قد تعدَّت الخامسة مساءً، وقد بدأت الشمس المختفية وراء السحب الرمادية تميل إلى الغروب، وضوؤها يتجه إلى الخفوت التدريجي.

وبنظرات دقيقة متفحصة، أخذ (مراد) يتأمل ذلك الشارع الراقي، الذي وجدت فيه الشرطة سيارات الثلاثة الذين اختفوا في

ظروف غامضة محيرة؛ فالبصمات الحديثة والموجودة على عجلة قيادة كل سيارة، تؤكد أن الثلاثة جاؤوا إلى هذا الشارع بمحض إرادتهم، وتركوا سياراتهم، و...

واختفوا!!

لم تكن المسافة التي قطعها سيرًا على الأقدام من بداية الشارع إلى نهايته كبيرة، ولكنها زادت من حيرته. بعد أن حاول البحث- ولمدة ساعتين كاملتين، وبأعين خبيرة- عن أي شيء يفيد القضية، في الطريق نفسه، أو على الرصيف، بل وحول الشجيرات المصفوفة على الجانبين، جذب انتباهه ذلك القصر المهجور المتهالك، والذي يقبع في منتصف الشارع تقريبًا، وبدا له عجيبًا وسط البنايات الفاخرة. ورغم أعمدة الإنارة التي تملأ الشارع، وتنيره بنورها المبهر، إلا أنه بدا مخيفًا أيضًا وسط الظلام الدامس الذي يحيط به.

كان يعلم بأن رجال المباحث، وحسب ما ورد في تقريرهم المرفق بملف القضية، قد قاموا بتفتيش القصر كإجراء ضروري ضمن تمشيطهم للمنطقة بأسرها بحثًا عن الثلاثة المختفين، إلا انه قرر أن يلقي نظرة أيضًا عليه، ربما يعثر على شيء، أي شيء، يلتقط منه خيطًا للوصول إلى حل اللغز.

وفي خطوات واسعة سريعة، عَبَر الطريق إلى الرصيف المقابل حيث يقع القصر، وقبل أن يصل إليه، توقف فجأة.

لقد انتابه شعور عجيب يعرفه جيدًا..

شعور اكتسبه من طول فترة عمله في المباحث ثم انتقاله إلى قسم قضايا فوق العادة.

هناك في مكان ما حوله..

عيون تراقبه!

تلفت حوله في بطء، وعيناه تتفحصان وجوه المارة وقائدي السيارات، السائرة منها والواقفة بمحاذاة الرصيف على الجانبين، ثم رفع عينيه إلى حيث الشرفات والنوافذ، وأخذ يبحث عن شيء ما؛ إلا أن الشارع كان هادئًا للغاية على اعتبار أنه ليس رئيسيًا أو تجاريًا. وفي هدوء عاد يتطلع إلى القصر من خلال بوابته الحديدية القديمة، التي يختفي الجزء السفلي منها في كومة كبيرة من الطين، بفعل امتزاج المطر بالأتربة. حاول أن يجد بعينيه طريقة للدخول متسائلاً في قرارة نفسه عن كيفية قيام رجال المباحث بتفتيش القصر كما ورد بالتقرير رغم أن شكل بوابته الخارجية والداخلية تدل على أن أحدًا لم يدخل القصر منذ سنوات طويلة.

وهنا...

شعر بصداع عنيف يهاجم رأسه!

وآلام مزعجة تدق جبهته!

عاد يلتفت إلى الخلف، وعيناه تجوبان كل مكان، إلى أن سمع صوتًا وراءه يهتف به في صرامة:-"ماذا تريد يا أستاذ؟؟"

تطلع (مراد) إلى ذلك الرجل الذي تعدي الخمسين من عمره، تدل جلبابه وعمامته على أنه أحد حراس العقارات المجاورة. وبينما يتأمله (مراد)، قال الرجل بمزيج من التحفز والشراسة:-"أراك تنظر إلى هذا القصر بشكل مريب".

كان الصداع قد اختفى فجأة، بشكل عجيب أدهشه، في الوقت الذي أخرج من جيبه بطاقة ذهبية مميزة عليها صورته، ووضعها أمام عينيّ الرجل، الذي ما إن قرأ سطورها حتى شد قامته، ورفع يده بالتحية العسكرية قائلاً:-"تقبل أسفي يا (مراد) باشا".

هتف (مراد) به، وهو يضغط على أسنانه في غيظ مكتوم:-"أخفِض يدك يا رجل؛ فلا داعي لكشف هويتي بهذه الطريقة، وقل لي.. ما حكاية هذا القصر؟؟"

تنهد الرجل، وقال في لهجة تبدو وكأنه اعتاد على سرد قصة القصر عشرات المرات قبل ذلك للدرجة التي شعر معها بالملل:-"هذا القصر في الأصل ملك لثري إنجليزي، اشتراه منه أحد الباشاوات السابقين، الذي توفي منذ أكثر من خمسة وعشرون عامًا، ومن وقتها أصبح القصر موضع نزاع قضائي بين الورثة الذين يعيشون جميعهم في الخارج. وبالطبع أصابه الإهمال، وقام اللصوص بسرقة بعض محتوياته الثمينة، إلى أن أشيع بين الناس أن الأشباح تسكنه. والحقيقة كنت أؤمن وحتى وقت قريب أنها خرافات، ولكن..."

ظهر الارتباك عليه، وهو يضيف في خفوت:-"ولكن أصبحنا في الآونة الأخيرة نسمع في الليل أصوات عجيبة صادرة منه".

قطب (مراد) حاجبيه بشدة، وهو يتأمل القصر من مكانه، ثم سأله في سرعة:-"هل هناك مدخل آخر لهذا القصر المهجور؟"

أومأ الرجل بالإيجاب، قائلاً وهو يشير بيده:-"في نهاية هذا الـ.."

قاطعه (مراد) قائلاً في ضيق، وهو يمسك بيد الرجل ويعيدها إلى أسفل:-"لا داعي أن تشير بيدك.. صف لي فقط".

ارتبك الرجل وقال:-"أعتذر مرة أخرى يا سيدي.. خلفي مباشرةً يقع ممر واسع جانبي، هو في الأصل مدخل خاص لجراچ البناية التي أعمل بها، ولكن يوجد في نهايته باب صغير يؤدي إلى الحديقة الخلفية للقصر، و..."

وفجأة، تصاعد هدير محرك لسيارة مسرعة، واتسعت عينا الرجل في ذعر، وهو ينظر إلى نقطة ما خلف (مراد)، الذي التفت وراءه، ليجد سيارة حمراء قوية تصطدم بعنف بإحدى السيارات الواقفة بمحاذاة الطريق، ثم تقفز فوق الرصيف، و...

وتتجه مباشرة إليهما، وبسرعة جنونية مخيفة!

وكأن هدفها هو سحقهما!

هو والرجل..

وبلا رحمة!

** ** ** **

في رد فعل يليق بضابط محترف، وقبل أن تصل إليهما السيارة بأقل من متر واحد، دفع (مراد) الرجل ناحية اليسار ليبعده عن مسارها المندفع، ووثب هو في سرعة ومرونة مدهشة ناحية اليمين، لتعبر السيارة بينهما، وتصطدم ببوابة القصر بدوي كبير مزعج، وتقف مكانها وقد تحطمت مقدمتها تمامًا.

وفي سرعة وقوة، دفع (مراد) جسده، لينهض ويقف على قدميه. وفي خطوات أشبه بالقفز، ذهب إلى الرجل ليجده ملقى على الأرض يتأوه بشدة، فانحني يتفحصه وهو يقول له في لهفة:-"هل أنت بخير؟"

- "نعم.. حمدًا لله! ولكن ظهري يؤلمني بشدة".

قطب (مراد) حاجبيه، ثم اندفع في غضب شديد إلى قائد السيارة الحمراء وهو يصيح في حدة:-"هل جننت أيها الـ..."

بتر عبارته فجأة، وهو يحدق في دهشة إلى قائد تلك السيارة، الذي لم يكن سوي فتاة شابة في أوائل العشرينيات من عمرها، وقد فقدت وعيها، تمامًا!

** ** ** **

(٥) الغموض...

أخذت الفتاة صاحبة السيارة الحمراء تلهث على نحو ملحوظ، وبدت زائغة العينين، وكأنها تعاني من صدمة عصبية حادة، وهي تقول للضابط المناوب بقسم شرطة سيدي جابر بذعر واضح وصوت باكٍ:-"لا أدري ماذا حدث أقسم لكم. أقسم لكم. لقد كنتُ أقود سيارتي بشكل طبيعي، وفجأة..."

صمتت لحظات، بدت فيها وكأنها تحاول أن تعصر عقلها للتذكر، مما جعل الضابط يصيح في وجهها بغضب:-"ماذا حدث؟؟ تكلمي!"

انكمشت الفتاة في مقعدها، وهي تهتف بخوف واضح وبشفاه مرتجفة:-"لا.. لا أتذكر. اقسم لك. لا أتذكر".

انعقد حاجبا ضابط الشرطة في غضب شديد، ومال بكيانه كله نحوها قائلا في حدة قاسية، وهو يشير إلى (مراد) الواقف بالقرب منهما:-"أنتِ متهمة بالشروع في قتل ضابط مباحث أثناء تأدية عمله".

ارتجفت الفتاة بشكل مثير للشفقة، وهي تتمتم في خوف وذعر:-"أنا!؟ لا! لا! مستحيل! ولماذا أحاول قتله!؟ لماذا!؟"

صاح الضابط بصرخة غاضبة:-"سلَي نفسك!"

انفجرت الفتاة في بكاء شديد، في الوقت الذي تدخل فيه (مراد)، هاتفًا بالضابط في صرامة آمرة:-"أيها الضابط.. لا داعي لهذا الأسلوب العنيف!"

نظر الضابط إليه في دهشة، بينما (مراد) يستطرد قائلاً للفتاة:- "اهدئي وتمالكي نفسك. واعلمي أنه سيمكنك العودة إلى منزلك فلن يمنعك أحد".

نظرت إليه في دهشة، وقالت وهي تمسح دموعها:-"هل.. هل يمكنني بالفعل الذهاب!؟"

أومأ (مراد) برأسه، وهو يقول في هدوء:-"نعم".

وهنا هتف الضابط في استنكار:-"ولكنها متهمة بـ..."

قاطعه (مراد) قائلاً في هدوء صارم مكتوم:-"لم يوجِّه أحد لها أي اتهام!"

أخذ الضابط ينقل عينيه بين (مراد) والفتاة في حيرة، وهو لا يدري ماذا يفعل إزاء هذا الوضع العجيب، إلا انه قال بشيء من العناد:-"ولكن من المفترض عمل محضر بهذه الواقعة، واحتجازها، و..."

قاطعه (مراد) مرة أخرى قائلاً في حزم:-"دوِّن الواقعة كحادث سير عادي، وليس شروعاً في القتل".

رمقه الضابط في عصبية، وملامحه تنطق بالدهشة والاستنكار في آن واحد، بينما التفت (مراد) إلى الفتاة الجالسة، التي تنظر إليه في مزيج من التعجب والذعر، قائلاً لها:-"أرجو منك أن

تتذكري جيدًا ما حدث في اللحظات الأخيرة قبل أن تنفلت الأمور منك ويحدث الاصطدام".

حملت ملامحها اضطرابًا واضحًا، وهي تقول في خفوت:- "صدقني.. لا أتذكر شيئًا، ولا اعرف كيف حدث هذا الأمر المؤسف".

تأملها (مراد) للحظات، ثم قال في هدوء بالغ، لا يتناسب مع الموقف أو المكان:-"حسنا.. سأساعدك.. ولنتذكر معًا. لقد كنتِ تقودين سيارتك بصورة عادية ومعتادة في ذلك الشارع، وفجأة حدث شيء ما أو شعرتِ بـ...."

قاطعته هاتفة:-"نعم.. نعم.. شعرتُ بصداع عجيب في الرأس".

اتسعت عينا (مراد)، واعتدل في جلسته وهو يضيف متسائلاً في اهتمام بالغ:-"في مقدمة الرأس تحديدا؟"

أومأت برأسها قائلة:-"نعم".

انعقد حاجبا (مراد) في تفكير عميق، وغمغم مكررًا وهو يتراجع ببطء:-"الصداع.."

وكان واضحا أن ما شعرت به الفتاة، شعر به هو شخصيًا. وهذا يعني الكثير..

الكثير جدًا!

** ** ** **

رن الهاتف المحمول الخاص بـ (مراد)، الذي كان يقود سيارته في أحد الشوارع الرئيسية الشهيرة بالإسكندرية، فوضع سماعة

البلوتوث فوق أذنه، وضغط في جهازه، هاتفًا بلهجة قوية:-"معك المقدم (مراد)".

أتاه صوت مديره على الطرف الآخر، يقول متسائلاً ودون مقدمات:-"لماذا لم تجعلهم يحتجزون تلك الفتاة التي حاولت قتلك!؟"

أجابه (مراد) وهو يتنهد:-"لم تحاول قتلي يا سيدي.. بل ليس لها علاقة بالقضية كلها".

- "وما الذي جعلك متأكدًا بهذا الشكل؟"

-" لأنها صادقة فيما قالته".

- "ولكن المشتبه به في القضية فتاة. ما أدراك أنها ليست الفتاة التي نبحث عنها مثلاً، و..."

تصاعدت رنة هاتف آخر بجوار مكتب المدير، الذي هتف بـ(مراد):-"لحظة واحدة".

تركه (مراد) يتلقي المكالمة الأخرى، إلى أن سمع صوت مديره يقول في اهتمام بالغ:-"ومتى حدث ذلك؟"

تنبهت حواس (مراد) خلال تلك الدقائق القليلة التي كان ينصت فيها مديره إلى الطرف الأخر، حتى قال وهو ينهي المكالمة:-"حسنًا سأعاود الاتصال بك".

ثم انتقل بحديثه إلى (مراد) مستطردا:-"(مراد).. هناك بلاغ مقدم من سيدة عن اختفاء ابنها، الذي كان ينتظرها أمام إحدى الصيدليات بمنطقة العجمي، وأثناء شرائها لبعض الأدوية

لاحظت أن هناك فتاة كانت تتكلم مع ابنها بجوار سيارته، فتصورت أنها إحدى طالباته؛ حيث أنه يعمل كمدرس يعطي دورات لغة إنجليزية في المركز الثقافي البريطاني. وعندما خرجت من الصيدلية لم تجده. حاولتْ الاتصال به على هاتفه المحمول، ولكنه لا يرد".
سأله (مراد) في اهتمام بالغ:-"متى حدث ذلك؟"
- "منذ ساعتين".
- "هل هناك معلومات أخرى؟"
- "لحظة واحدة يا (مراد)؛ فضابط القسم يرسل لي صورة من التحقيق عبر الفاكس الخاص بي".
توقف (مراد) بسيارته جانبًا، وانتظر على الهاتف دقيقة كاملة أخرى، وقد بدأ الفضول الشديد ينمو داخله، حتى جاءه صوت المدير يقول:-"من الواضح أن أوصافها هي نفس أوصاف الفتاة التي شاهدها حارس عقار الضحية الأولى".
عاد (مراد) يسأله في سرعة:-"وفصيلة الدم؟"
تنهد المدير وهو يقول في بطء مقتضب:-" O سالب".
مرر (مراد) يده فوق مقدمة رأسه، بينما استطرد المدير في مغمغما:-" يبدو أننا أمام ضحية رابعة".
زفر (مراد) في ضيق، ثم عاد يسأل:-"وما نوع السيارة؟"
أجابه المدير:-"هيونداي إلنترا - موديل ٢٠١٢ - فضية اللون".

قطب (مراد) حاجبيه، بينما أضاف المدير في قلق:-"(مراد).. القضية تزداد غموضًا بزيادة الضحايا. أريد الحصول على أية نتائج خلال اليومين القادمين".

قال (مراد) في حزم:-"بإذن الله تعالى يا سيدي".

وبمجرد أن أنهي اتصاله، وجد اتصالاً آخر من رقم مجهول، فضغط زر فتح المكالمة بهاتفه قائلا:-"مرحبًا".

جاءه صوت أنثوي مألوف يقول:-"مرحبًا سيادة المقدم.. معك النقيب (دعاء)".

ظهر بعض الضيق على وجهه، إلا أنه حرص على عدم إظهاره في صوته، وهو يسألها في لهجة جافة:-"ما هو تقريرك عن المهمة التي أوكلتها إليك؟؟"

هتفت قائلة:-"لقد ذهبتُ إلى منازل الثلاثة، وقمت بتفتيش غرفهم بشكل دقيق، ولكن لم أصل إلى شيء، أي شيء، ثم..."

قاطعها وهو يهتف:-"أين أنتِ الآن؟"

- "في منطقة (رشدي)".

نظر إلى ساعته، وقد تعدت الحادية عشر مساءً، وقال:-"حسنًا أيها النقيب. أريدكِ أن تذهبي فورًا إلى ذلك الشارع في منطقة (كفر عبده)، وتبحثي بأسلوب لا يلفت الأنظار عن سيارة (هيونداي إلنترا) موديل ٢٠١٢ فضية اللون، وسأقابلك في نهاية هذا الشارع بعد نصف ساعة من الآن".

- "هل هناك حالة اختفاء أخرى؟"

شعر بالإعجاب لسرعة بديهتها، وظهر ذلك في صوته وأسلوبه، الذي تغير ليكون ودودًا بعض الشيء:-"نعم.. وأتوقع أن تكون السيارة هناك".

شعرت بهذا التغيير، فهتفت وقد تهلهلت أساريرها:-"حسنًا.. سنتقابل بعد نصف ساعة".

أنهى (مراد) اتصاله، وانطلق بسيارته إلى هناك. إلى ذلك الشارع..

والى المجهول..

** ** ** **

(٦) الليلة الرهيبة..

توقف (مراد) بسيارته قرب ذلك الشارع، وأشار لـ (دعاء)، التي ركبت بجواره في سرعة، بعدها انطلق هو، بينما قالت هي:- "السيارة موجودة بالفعل".

قال (مراد) وهو يدور بسيارته، ليعود ويدخل إلى ذلك الشارع وقد أبطأ كثيرا من سرعته:-"كنت أعلم ذلك".

فسألته (دعاء):-"والآن ماذا ستفعل؟"

أجابها وهو يقود في هدوء:-"هناك مكان لدي فضول شديد لدخوله".

عادت تسأله:-"ما هو؟"

أجاب في حزم شديد:-"ستجدينه بعد دقيقة واحدة على اليسار".

وبالفعل ما هي إلا لحظات قليلة، بعدها رأت ذلك القصر المخيف الغارق في الظلام، ووجدت (مراد) ينحرف بهدوء شديد ليدخل في ممر خاص، يفصل بين سور القصر وبناية عملاقة فاخرة، ثم وجدته ينحرف إلى اليمين ليدخل جراچ البناية، ويوقف سيارته داخلها وكأنه أحد السكان، في نفس الوقت وجدت حارس العقار يهرول ناحية (مراد)، الذي استقبله في ابتسامة واسعة قائلا له:-"كيف حالك الآن؟"

كان يبدو على ملامح الحارس أنه كان غارقًا في النوم، وقد استيقظ فجأة عندما سمع صوت محرك السيارة وهي تدخل الجراچ، ولكنه وما إن رأى (مراد) حتى تهلهلت أساريره، وهو يقول بلهجة ممتنة:-"بخير حال يا سيدي.. لا أعرف كيف أشكرك على إنقاذك لحياتي".

هبط (مراد) من سيارته وهو يقول:-"لا تقل ذلك يا رجل.. إنه واجبي".

ثم استطرد في جدية شديدة:-"عندي مهمة عاجلة وسرية جدًا.. ومضطر لترك سيارتي هنا".

هتف الرجل:-"جميعنا هنا تحت أمرك يا سيدي".

فقال (مراد) في لهجة آمرة:-"حسنًا.. عد إلى فراشك وأكمِل نومك وكأنك لم ترنا".

أومأ الرجل برأسه، وعاد في سرعة إلى حجرته، بينما اتجه (مراد) إلى خارج الجراچ، تتبعه (دعاء) متسائلة في خفوت:-"هل سنقتحم القصر؟"

كان قد وصل إلى الباب الخلفي للقصر في آخر الممر الجانبي، فوقف أمامه يتأمله بعينيه، ثم نظر إلى السور المرتفع المحيط بالقصر وهو يجيب:-"بل (سأقتحم) القصر؛ فأنتِ سوف تنتظرين هنا".

قطبت حاجبيها وهي تقول في غضب مكتوم:-"ولكننا زملاء، ومن المفترض أن تتيح لي المشاركة بفاعلية في هذه القضية؛ لكي يمكنك تقييم أدائي بشكل صحيح".

كانت كلماتها منطقية بالفعل، الأمر الذي جعله يلتفت إليها وعلى وجهه ابتسامة صغيرة، قائلاً بجدية:-"خطتي تعتمد على وجودك هنا؛ فلدي شعور قوي بأن هذا القصر يحمل وراء جدرانه الكثير. إذا لم أعد بعد نصف ساعة كاملة، أو لم تتلقِ مني اتصالاً عبر هاتفك، فيمكنك أن تلحقي بي، وسأترك لك علامة دائرية عند موضع دخولي للقصر بعيدًا عن أبوابه".

ثم رفع عينيه إلى حيث قمة السور، فهتفت هي هامسة تسأله وهي تشير إلى بوابة القصر الخلفية:-"ولماذا لا تدخل من بوابته الصغيرة هذه!؟"

فأجاب:-"البوابة قديمة ومتهالكة، وأي صوت قد يصدر من فتحها سيلفت إلينا الأنظار بشدة".

أومأت برأسها، وراقبته وهو يقفز ليتعلق بالسور المرتفع المحيط بالقصر، ويعتليه في خفة ومهارة، ثم يدفع جسده ليهبط إلى الجانب الآخر. تجمد مكانه لمدة دقيقة كاملة؛ محاولا أن يتفحص بعينيه الجانب الخلفي للقصر معتمدًا على الأضواء الخافتة القادمة من بعض الشرفات والنوافذ، في حين كان عقله يدرس في سرعة الطريقة المثالية للدخول إلى القصر دون حدوث أي همسة صوت. استقرت عيناه على إحدى النوافذ

المتهالكة نصف المفتوحة، وبنفس السرعة والخفة الصامتة اندفع إليها ووقف أسفلها. أخذ حجرًا صغيرًا ورسم شكلاً دائريًا أسفل النافذة، ثم مد يديه ليقبض بقوة على إفريزها، ويدفع بجسده إلى أعلى، ليعبر الجزء المفتوح من النافذة بمرونة شديدة، و...

أصبح داخل القصر.

كان الظلام مخيفًا دخل ردهة القصر الواسعة، في حين كانت هناك رائحة عجيبة كريهة تملأ الأجواء، شعر معها (مراد) وكأنه داخل مقبرة جماعية. وفي سرعة أخرج هاتفه المحمول، وأضاء المصباح الجانبي المزود به، وفي بطء أخذ يوجهه في كل مكان، ويمرر إضاءته الخافتة حوله، متأملاً تلك الحوائط العالية، والنقوش الدقيقة التي تملأ زواياها، والتي تغطيها خيوط العنكبوت وبعض قطع الأثاث المهملة والمتفرقة، والأتربة الكثيفة التي تعلو وتغطي كل شيء. وهنا...

تصاعدت أصوات أقدام ثقيلة تسير ببطء!

وفي لمح البصر، وجَّه مصباح هاتفه إلى درجات السلم الضخم، والذي يتوسط الردهة الرئيسية ويؤدي إلى الدور الثاني.

كانت الأصوات صادرة من أعلى، ومن الواضح أنها تقترب من الجهة الأخرى من السلم. وفي سرعة، وضع هاتفه المحمول على الأرض، ثم أخرج مسدسه، ومن الجانب الآخر لسترته أخرج ماسورة طويلة، قام بتركيبها فوق فوهة المسدس ليصبح

كاتمًا للصوت، ووجهه إلى أعلى ناحية الصوت الذي أصبح واضحًا، في نفس الوقت الذي انحني فيه ليمسك بيده الأخرى هاتفه، و...

توقف صوت الأقدام فجأة!

قطب (مراد) حاجبيه في شدة، وهو يتقدم ببطء حذِر، ويتجه إلى السلم، ويصعد درجاته إلى أعلى، ويده ممسكة بالمسدس في تحفز شديد، واليد الأخرى تحمل هاتفه المزود بالمصباح. وبعد لحظات ساد فيها الصمت الرهيب، وصل (مراد) إلى الدور الثاني، ليجد أمامه ممرًا واسعًا طويلاً، تقع على جانبيه أبواب لبعض الغرف بالقصر.

تحرك بضع خطوات، و...

شيء ما مر من خلفه.. التفت وراءه.. دارت عيناه في كل اتجاه.. ليس هناك شيء. أكمل سيره.. عيناه تتحركان مع حركة يديه اللتين تحملان المسدس ومصدر الإضاءة.. علامات الترقب والحذر تملأ وجهه. هو يعلم جيدًا أن هذا الموقف سينتهي بأحداث مرعبة، خبرته تؤكد ذلك. وصل إلى منتصف الممر تقريبًا. وهنا، تناهى إلى مسامعه صوت صراخ. صراخ عجيب مكتوم. حاول أن يحدد مصدره. يبدو أنه آت من نهاية الممر. وصل إلى نهايته ليكتشف أن هناك ممرًا آخر يتقاطع مع الأول، وعبر الإضاءة الخافتة، نظر إلى اليمين ثم إلى اليسار. لا شيء. الصراخ يتعالى، وبدا وكأنه يأتي من كل اتجاه. فجأة، أصبح

الصراخ واضحًا. صراخ حاد مخيف يصم الآذان. ثم ظهر ذلك الشيء هناك، عند بداية الممر الأول، وبالتحديد عند السلالم.

كائن أسود عجيب مرعب، ضخم ذو أربعة أرجل يشبه في شكله العام شكل الماعز؛ عينان حمراء متوهجة، أنياب مخيفة بارزة من فمه تقطر منها الدماء، قرون بلون النيران، صرخات رعب كفيلة بأن يرتجف منها أقوي الرجال.

ولكن (مراد) بدا متماسكًا ثابتًا، لم يهتز أو يرتجف من هول المشهد؛ فقد اعتاد في قضاياه على تلك المواجهات المفزعة.

كان ينظر إلى ذلك الكائن البشع، قاطبًا حاجبيه، مصوِّبًا مسدسه إليه. الكائن يتحرك ببطء مخيف باتجاه (مراد)، الذي أطلق رصاصتين من مسدسه، أصابتا رأس ذلك الكائن في المنتصف تماما. الكائن لم يبدُ عليه أي تأثر، بل على العكس، اندفع فجأة ناحية (مراد)، ليقف أمامه مباشرةً، ويقترب بوجهه المخيف المفزع من وجه (مراد)، الذي لاحظ في دهشة أن الثقبين اللذين نتجا عن الرصاصتين قد التئما في سرعة عجيبة. ورغم ذلك ابتسم وهو يقول في سخرية لا تتناسب مع الموقف أبدًا:-"هل تتوقع أن أرتعد أو أنهار رعبًا من هذا الوجه الهزلي!؟"

وفجأة، اندفع الكائن البشع إلى أعلى بسرعة البرق، و...

اختفي!

اتسعت عينا (مراد) في ذهول، وهو يصوب مسدسه إلى أعلى باحثًا عن ذلك الكائن، في نفس الوقت الذي اختفت فيه

الصرخات الحادة المرعبة، لتحل مكانها ضحكة شيطانية لها صدى عجيب، وكأنها قادمة من أعمق أعماق الجحيم.

وهنا تعالت صرخات صرخات أخرى، هذه المرة مختلفة. صيحة قتالية نسائية.

وأمام عينيه الذاهلتين، وعبر الإضاءة الخافتة لهاتفه، وجد أمامه وفي بداية الممر...

- "(دعاء)!"

نطقها في دهشة، ثم قطب حاجبيه هاتفًا في غضب وهو ينظر إلى ساعته:-"لقد خالفتِ أوامري ألم نتفق على موعد محدد لـ..."

بتر عبارته، عندما وجدها تطلق صيحة قتالية أخرى، وتأخذ وضعية الاستعداد للهجوم، وعلى ملامحها شراسة بلا حدود فهتف بها في حدة:-"أيتها النقيب.. ماذا تفعلين بالضبط!؟"

اتسعت عيناه في ذهول شديد، عندما رآها تندفع إليه لتهاجمه، مطلقة تلك الصيحة المميزة لرياضة التايكوندو. فقفزت في الهواء، ودارت حول نفسها في براعة، وأرادت أن توجِّه له ضربة قوية بالقدم اليمنى على وجهه، إلا أنه تفادها بمرونة شديدة، وهو يهتف بها:-"ماذا تفعلين!؟"

كان من الواضح أنها لا تسمعه أبدًا، وهي تواصل هجومها وتوجه له ضربة بحافة يدها إلى رقبته، فتلقاها على ساعد يده التي تحمل مسدسه في سرعة، وباليد الأخرى دفعها بعيدًا عنه،

في نفس الوقت الذي سقط منه هاتفه أرضًا. وعلى ضوئه، رأى عينيها زائغتين، كأنها تنظر إلى لا شيء. هاجمته مرة أخرى. أخذ يتفادى بخفة وبراعة ضرباتها السريعة المتلاحقة.

كان الأمر واضحًا بالنسبة له. هناك من يسيطر على عقلها ويدفعها لمهاجمته بهذا الشكل، وهو نفس الشخص الذي قام بالسيطرة على عقل تلك الفتاة المسكينة صاحبة السيارة الحمراء، وهذا أيضًا سر شعوره بالصداع، و...

كان عقله يعمل بسرعة شديدة، وهو يناور، ويتفادى، ويقاوم ضربات (دعاء) المتتالية. وبالرغم من شراستها، واستطاعته أن يهزمها بسهولة، إلا أنه لم يكن يريد أن يبادلها العنف؛ خاصة أنها تفعل ما تفعله بصورة لاإرادية، في نفس الوقت يريد أن ينهي ذلك الأمر السخيف. كانت (دعاء) وقتها تحيط رقبته بأصابع كلتا يديها، وتدفعه ليلتصق بالحائط، وتضغط بقوة رهيبة في محاولة منها لخنقه. وهنا صاح بها بصوت خرج منه بصعوبة:-"للأسف.. لم تتركي لي خيارًا".

امتدت سبابته اليمنى لتضغط بقوة على نقطة ما بين عنقها وكتفها. فجأة، انهارت قواها وسقطت عند قدميه فاقدة للوعي.

أخذ يتحسس عنقه وهو يلهث ويلتفت حوله، ثم ينظر إليها في أسف. كان يدرك أنها غابت عن الوعي نتيجة ضغطه بأسلوب علمي خاص، يعرفه محترفو الكونغ-فو، على ما يسمي بمسار العصب المبهم، وهو عصب ضعيف تكفي ضغطة واحدة عليه،

وبتكنيك قتالي خاص، إلى اختلال الدورة الدموية وتوقفها، مما يؤدي إلى فقدان الخصم للوعي، ومع استمرار الضغط قد يؤدي إلى موته.

فجأة، عادت تلك الصرخة الحادة المخيفة تدوي في جنبات القصر. وفي سرعة، التقط (مراد) هاتفه من الأرض، وانحنى تجاه (دعاء)، وأحاط بساعديه حول وسطها، وبقوة وصلابة رفعها وحملها فوق كتفه الأيسر، و...

وهنا ظهر من جديد ذلك الكائن البشع، فاندفع (مراد) يعدو بعيدًا عنه، في نفس الوقت الذي تحرك فيه الكائن الشيطاني ليطارده، وهو يطلق تلك الصرخات المفزعة في مشهد مخيف تتجمد له الدماء.

وشهدت جدران ذلك القصر العتيق تلك المطاردة المرعبة، عبر طرقاته وممراته الطويلة المظلمة، في تلك الليلة الخاصة جدًا.. الليلة الرهيبة!

** ** ** **

(٧) ظلام ودماء...

تلاحقت أنفاس (مراد) بسرعة، وخاصةً أنه يحمل جسد (دعاء)، وهو يواصل العدو بكل قوته، معتمدًا على تلك الإضاءة الخافتة الصادرة من هاتفه. هو يدرك تمامًا أن ذلك المخلوق الأشبه بالماعز يستطيع أن يصل إليه بسهولة، ولكنه من الواضح أنه يهوي تعذيب ضحاياه، والتلذذ بمطارداتهم، قبل أن يطبق عليهم، و...

تخيل عقله مصيره ومصير زميلته تحت أنياب ذلك المخلوق، فزفر في ضيق، متمتمًا في سخط وهو ينحرف يمينًا داخل ممر آخر:-"بدلاً من التفكير في وسيلة لمواجهة ذلك البشع، أحاول الآن حماية زميلتي، و..."

بتر عبارته عندما وجد الممر ينتهي بنافذة متهالكة عملاقة، مما يعني أنه مسدود من جهته الأخرى، فوقف للحظة. عقله يعمل بسرعة مذهلة، صوت حوافر ذلك المخلوق تتعالى، مما يعني أنه على مقربة منه. وهنا...

توالت الأحداث بسرعة عجيبة..

ظلال رمادية في نهاية الممر تخرج من الأرض، وتتشكل أمامه على هيئة أربعة أشباح ليس لها ملامح محددة، يشيرون إلى غرفة جانبية هي الوحيدة بالممر. تجمدت ملامح (مراد)،

وضـاقت عينـاه، وهـو يحـاول تأمُّل ملامحهـم الضـبابية.. صـرخة حادة مخيفة تتصاعد خلفه.. يلتفت وراءه ليجد المخلوق قد ظهر في بداية الممر. وبدون تـردد، عـاد (مـراد) يعدو باتجـاه الأشباح الأربعة، وفي سرعة عبر باب الغرفة. وقبل أن يغلق بابهـا، ألقـى نظـرة متفحصـة أخيـرة علـى تلـك الأشـباح، ثـم امتـدت يـده نحـو المـزلاج المثبـت بالبـاب ليغلقـه بإحكـام، ويصـبح هـو و(دعـاء) وحيـدين داخـل تلـك الحجـرة المظلمـة، التـي تفـوح منهـا رائحـة كريهــة، جعلتــه يسـعل بشـدة، وهـو يتأمـل عبـر ضـوء هاتفــه حوائطهـا الأربعـة، وتلـك المـرآة الضـخمة التـي تتوسـط أحـدها، وتعلوها الأتربة الكثيفة. وتنبه إلى سيفين قديمين، معلقين علـى إحـدى الحـوائط بشـكل متقـاطع. وهنـا، تصـاعد صـوت حـوافر المخلوق، وهي تقترب ببطء مخيف، حتى توقف صوتها أمـام الباب. وأدرك (مراد) أن المخلوق يستعد لاقتحام الغرفة، و...

وهنـا تعالـت طرقـات قويـة علـى البـاب، الـذي كـان يهتـز بشـدة، فـانحني (مـراد) للأمـام، وأنـزل زميلتـه (دعـاء)، ووضـعها علـى الأرض في رفق بـالغ، وهو يقول فـي هدوء لا يتناسب أبدًا مـع الموقف:-"أعتذر لوضعك هكذا على هذه الأرض القذرة.. ولكنهـا الظروف".

وبأعصــاب حديديــة، وضـــع هاتفــه علــى الأرض، بحيــث جعــل إضـاءته فـي اتجـاه البـاب. اتجـه إلـى السـيفين المعلقـين، وأخـرج

أحدهما من غمده. هتف بصوت عال حازم قوي:-"ألم يصبك الملل من تلك المطاردة؟؟؟"

ارتفعت أصوات طرقات أخرى عالية، بدت وكأنها صادرة من حوائط الحجرة نفسها، ومن جميع الاتجاهات، فصاح (مراد) بلهجة ساخرة لاذعة:-"لا داعي لكل هذا الطرق.. يكفي مرة واحدة برقة وسأفتح الباب على الفور".

أمسك السيف بقوة، واقترب من الباب في تحفز وحذر، مضيفًا:-"لأنني مشتاق لفصل رأسك عن جسدك".

التقطت أذناه تلك الحركة الخافتة الصادرة من خلفه، وقبل أن يلتفت وراءه، تلقي ضربة قوية على مؤخرة رأسه، وجد نفسه يغرق على إثرها في دوامة سوداء مؤلمة، ويسقط أرضًا بجوار جسد (دعاء). حاول أن يقاوم تلك الغيبوبة التي هاجمت عقله، إلا أنه وجد نفسه مستسلمًا لها. وقبل أن يغيب عن الوعي تمامًا، التقطت عيناه حذاءً نسائيًا لقدمين وقفتا عند رأسه تمامًا.

قدمي فتاة.

وعادت تلك الضحكة الشيطانية الرهيبة لتدوي داخل القصر.

** ** ** **

فتح (مراد) عينيه. مازال داخل الغرفة. الغرفة مضاءة كلها بضوء لا يعرف مصدره. استند بيده على الأرض لكي ينهض، ولكنه قطب حاجبيه بشدة عندما وجد يده تغوص في شيء دافئ لزج. التفت بسرعة، انتفض مكانه وهو يقفز قفزة واحدة، ليقف

في دهشة وسط الغرفة، ينظر إلى ما علق في يديه وما يشاهده أمامه. كانت هناك أنهار من الدماء الحارة تنفجر في كل مكان حول باب الغرفة:-من جوانبه، حوافه، مقبضه، حتى ثقب المفتاح. ليس هذا فقط؛ بل اكتشف وجود قطع من اللحم المفري تسبح وسط الدماء، في مشهد رهيب مقزز. ثم وجد الدماء تنجذب إلى نقطة ما أمام الباب، وتعلو، وتعلو، وتتشكل أمامه على هيئة حيوان ذي أربعة قوائم، غير محدد الملامح. فجأة، ظهرت رأس ماعز من قلب تلك الدماء الممزوجة باللحم. إنه ذلك المخلوق البشع! و...

اهتز جسد (مراد) في قوة!

لحظات وعاد يهتز مرة أخرى.

و... وفتح عينيه.

استعاد (مراد) وعيه، وأدرك منذ اللحظة الأولى أنه عاش لحظات من الكابوس المرعب؛ فها هو داخل الغرفة. الظلام يحيط به، وتلك الرائحة الكريهة تملأ أنفه، آلام شديدة في مؤخرة رأسه نتيجة للضربة القوية التي تلقاها من الخلف. أراد أن ينهض، لم يستطع تحريك يديه أو قدميه. قطب حاجبيه في توتر وغضب، عندما وجد أن أحدهم قيده بإحكام شديد. ليس هذا فقط؛ بل هناك شريط لاصق فوق فمه. لحظات وأخذت عيناه تتبين ما حولها بصعوبة وسط ظلام الغرفة. تناهي إلى مسمعه صوت الأمطار، وهي تزداد كثافة، وتنهمر بشدة لتصطدم بصوت عال

على جدران القصر. ولمع البرق، وعلى ضوئه اتسعت عيناه، وانتفض قلبه بين ضلوعه مع هزيم الرعد، عندما اكتشف اختفاء (دعاء)، وأيضًا هاتفه. حاول أن يحل وثاقه بقوة ثائرة، ولكن وجد أن محاولاته ستَستنزف قواه دون جدوى.
اخذ يلتفت برأسه؛ بحثًا عن أي شيء يمكن أن يساعده في حل وثاقه. ومع لمعان البرق أكثر من مرة، ودوي الرعد، لمح ذلك الجزء الصغير المكسور في أقصى اليسار من الحافة السفلية للمرآة العتيقة، مما يعني أن هذا الجزء قد يصلح بقليل من الجهد، كأداة حادة للتخلص من قيود يديه.
في حزم شديد، أخذ يحرك جسده، ويتدحرج على الأرض، حتى وصل إلى ذلك الجزء من المرآة، ثم دفع جسده إلى الأمام بقوة، فأصبح في وضع الجلوس، واعتدل بجسده، ومال بظهره إلى الخلف، ليصبح الجزء المكسور من حافة المرآة بين يديه المقيدتين. ثم أخذ يحرك يديه صعودًا ونزولاً فوق تلك الحافة الحادة، التي بدأت بالفعل في تمزيق ألياف الحبل السميك.
قطب (مراد) حاجبيه، وقد شعر بأن هناك تيارًا من الهواء البارد يرتطم بظهر يده، فالتفت إلى المرآة، وقد أدرك أنها تخفي فراغًا ما خلفها. وأخيرًا تمزق الحبل، فأفلت يديه في سرعة، وقام بنزع الشريط اللاصق من على فمه، ثم حل وثاق قدميه. زفر في ضيق عندما اكتشف اختفاء مسدسه، فقفز ليقف على قدميه، وهو يتحسس جوانب المرآة الضخمة ويفحصها. ما شعر به

يؤكد أن هذه المرآة تخفي مدخلاً سريًا. بالتأكيد هناك طريقة ما للوصول إليه. حاول تحريكها أو زحزحتها بكل الطرق والاتجاهات، ولكنه لم ينجح، حتى خطرت له فكرة عجيبة؛ فمد يديه إلى أعلى، وأمسك بقبضتيه الحافة العلوية منها، و... ضغط إلى أسفل. وفجأة وجد المرآة كلها تتحرك في نعومة صامتة، وتنزلق إلى أسفل، لتختفي في تجويف سري بأرضية الغرفة، كاشفة عن دهليز يتضمن سلالم هابطة، يظهر في نهايتها أضواء نيرانية راقصة. وفي حذر وحرص شديدين، تحرك (مراد) ليهبط درجات السلم، حتى وصل إلى نهايته، التي كشفت عن قبو واسع.

وعلى ضوء المشاعل المتراقصة المثبتة داخل جدران القبو، اتسعت عيناه في ذهول شديد.

فأمام عينيه، كان هناك مشهد دموي رهيب.

خفق قلبه في شدة، عندما وجد جسد (دعاء) مكومًا في أحد أركان القبو، فاندفع إليها بسرعة، وانحنى يفحصها في اهتمام ودقة. حمد الله على أنها مازالت على قيد الحياة، وإن كان نبضها ضعيفًا؛ وقطب حاجبيه في شدة، عندما وجد قطرات من الدماء في مؤخرة رأسها. كان من الواضح أنها تلقت ضربة قوية، أدخلتها في غيبوبة طويلة.

ظهر الغضب الشديد على ملامحه، ولكنه اعتدل فجأة في مكانه، وتجمدت ملامحه؛ فقد تناهى إلى مسامعه صوت تنبيه مميز،

صادر عن هاتف خلوي يشير إلى قرب نفاذ بطاريته. كان الصوت صادرًا من جسد (دعاء). وفي سرعة شديدة، أخذ يبحث داخل ملابسها حتى وجده. كانت (دعاء) تخفيه في جراب خاص ملتفًا حول إحدى ساقيها قرب الكاحل، بينما الساق الأخرى كانت تخفي حولها مسدسًا صغيرًا، فتمتم (مراد) وهو يضغط أزرار الهاتف:-"يسعدني أنكِ تفكرين بهذه الطريقة".

وما أن سمع صوت الطرف الثاني، حتى هتف في حزم:-"سيادة اللواء.. معك المقدم (مراد). أريد سيارة إسعاف حالاً، وفريق كامل من المباحث والمعمل الجنائي والطب الشرعي، وكمائن أمنية على أعلى مستوى لمحاصرة الشارع من الجانبين، ومزودة بكاميرات مراقبة دقيقة".

جاءه صوت اللواء يقول في انفعال جارف:-"أين مكانك بالتحديد؟؟ وماذا حدث؟؟"

أجابه (مراد)، وعيناه تدور في المكان، تتأمل المشهد المفزع، قائلاً بلهجة بدت للواء مخيفة:-"داخل القصر المطل على ذلك الشارع. لقد اكتشفتُ شيئًا رهيبًا.. رهيبًا إلى أقصى درجات الرعب".

وكان على حق تمامًا...

** ** ** **

(٨) البشاعة...

رفع اللواء الملاءة الملطخة بالدماء، والتي تغطي الجثة المسجاة على أرضية ذلك القبو السري الواسع، الموجود بالقصر. وتأمل قليلاً وجه الشاب، الذي تحولت بشرته إلى اللون الأزرق، وقد ارتسمت على وجهه أقسى علامات الرعب، وفقدت عيناه بريق الحياة، بينما يظهر على عنقه ثقبان غائران، ثم أعاد الغطاء على وجه الجثة مرة أخرى، قبل أن يقف وينظر إلى الجثث الأخرى، وقد ظهر عليه الاشمئزاز من الرائحة المقززة التي تصدر عنهم، حيث كانت هناك أربع جثث متراصة بشكل متعمد، يشبه نجمة خماسية غير مكتملة، وعلى قمتها توجد رأس ماعز مذبوحة. نفس هذا المشهد الرهيب متكرر، ولكنه مرسومًا بالدم على إحدى حوائط القبو، وبالتحديد عند الحائط المقابل للجثث مباشرةً. ثم أدار رأسه، ليرى مشهدًا يعد من أكثر المشاهد المقززة التي رآها في حياته؛ فعند أحد أركان القبو السري الفسيح، كانت توجد منضدة خشبية قديمة كبيرة، تتناثر أسفلها ملابس متسخة ملطخة بالدم، وتتراكم على سطحها طبقات من الدماء الجافة، بينما تقبع فوقها كومة من الأشلاء البشرية، وبجوارها موقد كبير للطهي، يعلوه إناء معدني ضخم، يحتوي على خليط مخيف ذي رائحة كريهة رهيبة، أثارت في نفسه

الشعور بالقيء، على حين انتشر رجال المباحث، ورجال المعمل الجنائي، في كل مكان بالقبو، بل بالقصر كله، الذي تحول إلى كتلة من الضوء بفضل تلك المصابيح القوية التي أحضروها معهم، ليقوموا بعملهم، من رصد، وتصوير، ورفع البصمات، وجمع الأدلة، وبحث، وتحليل كل ما هو موجود حولهم. ووسط كل ذلك، اتجه إلى تلك الفتاة التي تتفحص باهتمام شديد إحدى الجثث، في نفس الوقت الذي جاء فيه (مراد) أيضًا، وقد قام بتغيير ملابسه المتسخة بأخرى نظيفة أحضرها له أحد زملائه، وما إن اقترب اللواء منها، حتى نهضت قائلة له في أسف:- "إنها جريمة بشعة بكل المقاييس".

التفت اللواء إلى (مراد)، مقدما إياها له:-"النقيب (نادين سليمان).. عضو جديد بالقسم.. دكتوراه في الطب الجنائي".

ثم التفت إليها، متابعًا وهو يشير إلى (مراد):-"وهذا هو المقدم (مراد). ستعملين معه، وسيكون مسئولاً عن تقييمك، ورأيه سيكون مؤثرًا في الموافقة على استمرارك معنا".

ابتسمت (نادين) ابتسامة صغيرة، وهي تمد يدها لتصافح (مراد):-"مرحبا يا سيادة المقدم. يسعدني ويشرفني العمل معك".

صافحها (مراد)، وهو يتأمل ملامحها الجميلة الحادة، وشعرها الأسود الناعم الطويل، قائلاً:-"مرحبا بك".

سألها اللواء:-"هل توصلت إلى شيء؟"

أجابته وهي تتنهد:-"ليس تمامًا.. ولكن أستطيع أن أقول بصفة مبدئية أن الجثث الأربعة قد تم امتصاص دمائهم إلى آخر قطرة. توقيت ارتكاب الجرائم يتفق مع توقيت اختفائهم؛ حيث أن الفاصل الزمني بين كل جريمة والتالية لها هو أسبوع واحد فقط، وهذا واضح من اختلاف نسب تحلل كل جثة".

ثم تحركت إلى أول جثة، وهي تتابع:-"هذه الجثة تعد أول ضحية للقاتل. وقت الجريمة منذ خمسة عشر يومًا تقريبًا، وهذا واضح من ذوبان مقلة العين، وتساقط الجلد الهش، الذي أصبح لونه أخضر داكنًا، وكذلك تساقط الشعر والأظافر، وظهور اليرقات الدودية المتعددة، وبخاصة عند الفم والأنف، وتحلل الأنسجة وسقوطها".

بعدها تحركت لتقف بين جثتين، وتشير إليهما متابعة:-"وهاتان الجثتان متقاربتان في توقيت وفاتهما؛ حيث يظهر الزبد الدامي من الفم والأنف، البطن أصبحت منتفخة، وهناك انتشار للون الأخضر الفاتح على مناطق جلد البطن والصدر. كذلك الوجه والجسم كله أصبحا في حالة انتفاخ نتيجة للغازات المتجمعة تحت الجلد. هناك بروز للعينين واللسان، واختفاء كامل لملامح الوجه، وانبعاث رائحة كريهة من الغازات المتصاعدة؛ مما يعني أن وقت ارتكاب الجريمة لكليهما منذ أسبوع تقريبًا".

ثم اتجهت إلى الجثة الرابعة قائلة:-"أما هذه الجثة، فتوقيت وفاتها منذ أربع ساعات تقريبًا".

واستدارت تواجههما مستطردة:-"وبالنسبة للبصمات، فهناك بصمتان منتشرتان في القبو. بصمة تتطابق مع تلك التي تم تسجيلها في ملف تحريات القضية، وبصمة أخرى تظهر لأول مرة، تم رفعها، وحاليًا جاري التحقق من البصمتين في قاعدة البيانات الجنائية. أما (دعاء)، فقد تم نقلها إلى المستشفى؛ لوجود اشتباه ارتجاج في المخ، نتيجة لضربة قوية على مؤخرة رأسها".

ثم ذهبت إلى المنضدة الخشبية، وهي تتابع:-"أما هذه الأشلاء، فللأسف هي تخص أطفال تتراوح أعمارهم بين الخمس والسبع سنوات؛ وهذا واضح من تكوين الأعضاء، بالإضافة إلى قياسات ملابسهم".

ثم أشارت إلى الإناء وهي تضيف:-"هذا الإناء يحتوي على أشلائهم أيضًا، وقد قام أحدهم بغليها لمدة طويلة جدا".

هز اللواء رأسه، وهو يقول في تعجب:-"لم أكن أعلم أنني سأرى في يوم من الأيام مثل هذه الجرائم في مصر. كنتُ أتصور أنه لا وجود لها إلا في الأفلام والروايات، وخاصةً مصاصي الدماء هذا".

وهنا تدخل (مراد) قائلاً في حزم:-"على العكس يا سيدي.. إنهم موجودون في عالم الواقع، وهناك دلائل على وجودهم في حضارة بابل وسومر القديمة، ومصر الفرعونية، والحضارة الهندية، والحضارات الأوروبية؛ فأساطير وفلكلور هذه

الحضارات تحدثت عن تصيدهم للبشر لامتصاص دمائهم، وهناك قبور لمصاصي الدماء يكتشفها العلماء من حين لآخر".

هتفت (نادين) وهي تضيف:-"هناك أيضا مرض نادر جدًا يجعل صاحبه في حاجة دائمة للدماء".

التفت إليها (مراد) قائلاً في هدوء:-"تقصدين مرض (البروفيريا)"؟

أومأت برأسها وهي تقول:-"بالضبط؛ فمرضاه لديهم أنيميا، ونقص شديد بمادة الهيموجلوبين الحمراء، كما أنهم حساسون جدًا للشمس، لدرجة أن تعرضهم لأشعتها ولو لفترة وجيزة قد يسبب تشوهات في أشكالهم، ولهذا يعيشون دائمًا في الظلام، وقد تحدث ندبات مستديمة في جلد الوجه، الذي يصيبه الشحوب والجفاف، وتظهر عليه تشققات عميقة، ومن الممكن أن يسقط أنف المريض وأصابعه، كما أن الشفاه واللثة تصبح مشدودة، وبالتالي تبرز الأسنان، وبالذات الأنياب، فيصبح المريض له نفس شكل الشخصية الأسطورية (دراكولا). وعادةً فإن هذا المرض يُعالَج بحقن المريض بحقن تحتوي على مشتقات الدم. ولكن..".

صمتت لحظات، ثم تابعت وهي تشير إلى الجثث:-"ولكن ليس شربه؛ فلقد ثبت علميًا أن شرب الدماء لا يقلل من حدة الأعراض؛ لأنه ببساطة سيتم هضم المواد الكيماوية الموجودة

بالـدم فـي معدتـه، وبالتـالي، وعكـس مـا هـو شـائع، فلـن يفيـد المريض شرب الدماء".
هتف اللواء وهو يشير بدوره إلى الجثث:-"ولكننا أمام مجرم قاتل قام بامتصاص دمائهم بالفعل!"
قالت في صوت بدا عليه الحيرة:-"نعم.. ولكن ما أردت قوله هو أن ما حدث هنا يخالف كل ما تعلمته في دراستي، وتوصلت إليه أحدث الأبحاث العلمية".
تنهد اللـواء وهـو يقـول فـي حـزم شـديد:-"لـذلك قضـايانا دائمًـا مختلفة.. وفوق العادة".
هـزت رأسـها، وقـد بـدا عليهـا التفكيـر، وهـي تتـابع:-"فـي كـل الأحوال، أؤمن بـأن لكل قاعدة استثناء؛ فربمـا نكـون أمـام حالـة لديها خطأ ما في الجينات، أو مريض نفسي سادي".
التفت اللواء إلى (مراد)، وقد ضـاقت عينـاه وهو يتسـاءل:-"مـا رأيك أنت يا (مراد) فيما تراه الآن؟؟"
صمت (مراد) للحظات، نظـر فيهـا إلـى الجثـث، ثـم قـال:-"قبـل أن أطرح رؤيتي، أريد أن أسأل النقيب (نادين):-أليس هنـاك احتمـال أن يكـون قـد تـم امتصـاص دمـائهم بواسطة آلـة ماصـة قويـة؟؟ فربمـا يكـون القاتـل يحـاول تشـتيت أفكارنـا وإيهامنـا بوجـود مصاص دماء".

هزت (نادين) رأسها نافية، وهي تقول:-"لا مجال للشك في أن الثقبين الموجودين في أعناق الجثث الأربعة هي لأنياب بشرية اخترقت الوريد العنقي، وامتص صاحبها دماء الجسد كله".

قطب اللواء حاجبيه وهو يسأله:-"هل تفكر في شيء ما؟"

عقد (مراد) ساعديه خلف ظهره وقال وهو يسير بين الجثث:-"القضية معقدة ومتشابكة تمتلئ بالغموض؛ ففي البداية كان لدي تصور أن الأمر له علاقة بسرقة الأعضاء البشرية، ولكن في ضوء التطورات الحالية للقضية، أستطيع أن أؤكد أننا أمام..."

صمت للحظة، ثم أضاف بلهجة قوية، وهو يتأمل النجمة الخماسية المرسومة على الحائط:-"أمام مصاص دماء باع روحه للشيطان".

تبادل اللواء و(نادين) نظرات التعجب، بينما وقف (مراد) وسط الجثث، واستدار ليواجههما مستطردًا في هدوء وثقة:-"هناك نظرية أسطورية تقول أن مصاصي الدماء هم بشر باعوا روحهم إلى الشيطان؛ من أجل امتلاك قوة عظيمة، وحياة خالدة، مقابل إيذاء البشر ومص دمائهم. أما النجمة الخماسية المرسومة خلفي، وعلى قمتها رأس الماعز، ما هي إلا رمز للشيطان في الأساطير القديمة. وقد حاول مصاص الدماء هذا تحقيقها في الواقع الذي نراه الآن؛ حيث قام بإحضار الجثث،

ورأس الماعز المذبوحة، وقام بوضعهم بهذا الترتيب بعد شرب دمائهم؛ بهدف استحضار الشيطان واكتساب قوته".

هتفت (نادين) في دهشة:-"تحليلك هذا عجيب للغاية يا سيادة المقدم! بل هو مرعب!"

ثم اتسعت عيناها فجأة، وكأنما اكتشفت شيئًا ما، وقالت وهي تشير إلى الشكل المرسوم:-"النجمة الخماسية تتكون من خمسة أضلاع".

ثم أشارت إلى الجثث مستطردة:-"وأمامنا أربع جثث.. هل هذا يعني أن..."

قاطعها (مراد)، وهو ينظر إليها في إعجاب:-"يعني أنه كان من المفترض أن تكون هناك ضحية خامسة!"

قال اللواء في تساؤل:-"(دعاء)؟"

هز (مراد) رأسه نافيًا:-"كلا.. (دعاء) كانت ستقدم قربانًا للشيطان".

اتسعت عينا (نادين) وهي تكرر في ذهول:-"قربان!!"

أومأ (مراد) برأسه، ثم قال:-"نعم.. إنها طقوس قديمة للغاية، نفذها مصاص الدماء هذا بدقة دموية، وكان لابد من تقديم قربان للشيطان كهدية لحضوره. هذه الهدية لابد أن تكون فتاة جميلة حية.. إما أن يأخذها الشيطان لتعيش معه كإحدى زوجاته، أو..."

صمت لحظة، ثم قال ببطء مخيف:-"أو يقتلها بقبلة الموت".

شهقت (نادين) في فزع، بينما كان اللواء يفكر فيما قاله (مراد)، الذي عاد ليتحرك داخل أرجاء القبو مردفًا:-"ومع ذلك، هناك نقاط مازالت غامضة ليس لها تفسير حتى الآن. أولا: سر اختيار الضحايا من ذوي فصيلة الدم O سالب بالذات. ثانيًا: سر الفتاة التي شاهدوها، وجعلتهم يأتون إلى هنا بمحض إرادتهم، وهذا يعني أنها تملك قدرة رهيبة على التأثير في العقول، وأعتقد أنها كانت موجودة في القصر، ومازلنا لا نعرف عنها أي شيء. ثالثًا: المخلوق الغامض البشع الذي شاهدتُه هنا. رابعًا: تلك الأشلاء من لحم الأطفال، ووضعها في إناء وغليها لا تتناسب أبدًا مع أسلوب مصاصي الدماء".

سأله اللواء:،" ألا يوجد احتمال أن تكون الفتاة ومصاص الدماء هذا شيئًا واحدًا؟ أليس من المحتمل أن المخلوق هذا مجرد خيالات أو هلوسة عقلية نتيجة لمحاولة أحدهم التأثير على عقلك وإدراكه؟؟"

أجابه (مراد):-"بالنسبة للسؤال الأول، فلا اعتقد أن تكون الفتاة ومصاص الدماء شيئًا واحدًا؛ لسبب صغير ولكنه كاف، وهو وجود بصمتين في مكان الجريمة. أما السؤال الثاني، فإجابته أنه، وعبر الأحداث التي مررت بها، كنت مدركًا تمامًا بأن هناك من كان يحاول ويسعى دائمًا للسيطرة على عقلي بمجرد اقترابي من القصر، وهذا كان سر شعوري بالصداع المفاجئ في بعض الأحيان. وعندما فشل في ذلك، سيطر على عقل قائدة السيارة

الحمراء؛ في محاولة منه للتخلص مني بصورة تبدو وكأنها حادثة سير، كما أنه لو كان نجح في التأثير عليّ لبقى هذا القبو الرهيب سرًا إلى الأبد ولم نكن سنكتشفه أبدًا".

قال اللواء ببطء، وهو يضغط على حروف كلماته:-"تحليلك هذا قد يفسر أن الدورية التي قامت بتحرياتها بالمنطقة، وذكرت بأنها قامت بتفتيش القصر، هي في الواقع لم تقترب منه، بل تمت السيطرة على عقولهم، ووضع فكرة أنهم بحثوا بداخله بالفعل".

أومأ (مراد) برأسه بالإيجاب، مضيفًا:-"وهذا يؤكد أنهم قريبون جدًا جدًا من هذا القصر".

ثم نظر في الفراغ، وهو يتابع وكأنه يحدث نفسه:-"يتحركون في الظلام في أوقات متأخرة، وسط برودة الجو القارسة، كضمان بأن أحدًا لن يرهم، وحتى لو تصادف ورآهم أحد وهم يدخلون أو يخرجون من القصر من بابه الخلفي، فمن السهل السيطرة على عقله، وزرع فكرة أنه لم ير شيئًا".

اتسعت عينا اللواء وهو يصيح:-"هذا يعني أيضًا بأن تحرياتنا وبحثنا لن يجديا؛ فالجميع سيجيبون بإجابة واحدة 'لم نر شيئًا'"

عاد (مراد) ليهز رأسه بالإيجاب، وهو يقول:-"لذلك طلبت كمائن أمنية لمحاصرة الشارع، ومنع خروج أي أحد إلا بعد التحقق من شخصيته".

هتف اللواء في حنق:-"ولكن من هم؟؟ ولماذا يفعلون ذلك!؟ أريد الحصول على أي معلومة عنهم!"

وهنا هتفت (نادين) في حماس:-"نستطيع ذلك بإذن الله؛ فقد استطعت الحصول على قطرة صغيرة من اللعاب، كانت مازالت موجودة على جلد عنق آخر ضحية، وهي بالتأكيد تخص القاتل. وبتحليلها نستطيع أن نعرف أشياءً قد تفيدنا؛ مثل عمره، وتاريخه المرضي".

التفت إليها اللواء قائلاً في لهجة آمرة:-"حسنًا ابدئي على الفور أيتها النقيب، وأريد منك تقريرًا يتضمن بعض الإجابات".

شدت قامتها قائلة:-"أعطني أربع ساعات على الأكثر، وسأبلغ سيادتك".

أومأ برأسه، وعاد ليلتفت إلى (مراد) متسائلاً:-"وأنت يا (مراد).. ماذا ستفعل؟؟"

تنهد (مراد)، وهو يقول في حزم صارم:-"لم يبق أمامي سوى إلقاء نظرة على سيارات الضحايا؛ فربما أعثر على أي طرف خيط للوصول إلى القتلة.. أي طرف".

ثم عاد ينظر إلى الجثث ويتأملها، و...

بدأ إحساس غامض ينمو في أعماقه.

إحساس ينبئه بأن الساعات القليلة القادمة ستكون رهيبة..

إلى أقصى حد!

** ** ** **

(٩) الأشباح...

تحرك (مراد) في خطوات سريعة قوية، قائلاً في غضب شديد لزميلته (نادين)، وهما يعبران الباب الخلفي للقصر، ويتجهان إلى الجراچ حيث تقبع سيارته:-"من المؤسف أن يُزهق هذا الكم من الأرواح الطاهرة بهذا الشكل البشع. أقسم بأنني سأثأر لهم!" قالت له وهي تحاول ملاحقة خطواته الواسعة: " أعتقد أنك بحاجة إلى الراحة قليلاً حتى تستطيع أن..."

كانا في تلك اللحظة قد دخلا بالفعل إلى الجراچ، عندما قاطعها (مراد) قائلاً: "لن يهدأ لي بال أو يغمض لي جفن حتى أري جسد ذلك القاتل يتدلي من حبل المشنقة، و..."

بتر عبارته الغاضبة فجأة، عندما لمح بطرف عينه شيئًا ما، وكان من الواضح أن (نادين) لمحته أيضًا؛ فقد التفتا معًا في نفس الاتجاه. تجمدت ملامحهما، وعينا كلا منهما تدور حول المكان، في نفس الوقت الذي غمغم فيه (مراد) في حذر: "هناك شيء ما.."

غمغمت (نادين) في توتر: " نعم.. شيء ما مر بجانبنا بسرعة البرق".

أمسك (مراد) يدها، واتجه بها سريعًا إلى سيارته، وهو يقول: "هيا بسرعة.. استقلي السيارة. سنذهب معا إلى المديرية".

توقفا مـرة أخـرى. كانـا يلمحـان كيانًـا مـا يمـر بـالقرب منهمـا، بسرعة خاطفة وباتجاهات مختلفـة. وفـي كل مـرة يلتفتـا لـم يجدا شيئًا، حتى هتفت (نادين) وقد أخرجت مسدسـها وبصوت يملؤه القلق صاحت: "ما هذا!؟ ما الذي يجري حولنا؟؟؟"

عاد (مراد) يسير، وقبضته تحيط بيدها في قوة، قـائلاً فـي ثبـات وصرامة: "لا تنظري إلى شيء".

وما إن وصلا إلى السيارة، حتى توقفت هي، واتسعت عيناها فـي رعب، وأفلتت يدها بسـرعة من قبضة (مـراد)، لتمسك مسدسـها بكلتـا يـديها، وتصـوبه فـي اتجـاه مـا، فالتفـت (مـراد) لينظـر فـي اتجاه تصويبها، لتصطدم عيناه بمشهد مذهل عجيب.

وجوه الضحايا، بالإضافة إلى وجوه عدد كبير من الأطفال، وقد تشكلت بلـون أزرق باهـت، وبـدت منعكسـة علـى زجـاج بعض السيارات الموجودة بالجراچ. ظهرت الدهشـة علـى وجـه (مـراد) للحظة، ثم ضاقت عينـاه وتحفـزت عضلاته، وهو ينظـر إلـى تلك الوجوه، التـي بـدأت تتكرر وتنتشـر، لتـنعكس علـى زجـاج بـاقي السـيارات الواقفـة، ممـا جعل (نـادين) تشـهق فـي رعـب، بينمـا تحرك (مراد) بسرعة، وفتح باب سيارتـه، لتستقلها هي بسرعة، وهو يقول لها في خفوت: "لا داعي لمسدسك هذا؛ فلـن يفيـد مـع الأشباح".

ثم أغلق الباب بجوارها، ودار حـول سيارتـه، واتخذ مكانـه خلف عجلـة القيـادة بجـوار (نـادين)، التـي هتفـت فـي ذعـر واضـح:

"أشباح!! يا إلهي! أول مرة أرى فيها أشباح! إنهم في كل مكان!! هل سيؤذوننا؟؟؟"

صاح (مراد) بلهجة آمرة صارمة مكتومة: "اهدئي!"

أطبقت (نادين) شفتيها، وهي تدور برأسها في كل مكان، حتى هبط قلبها إلى أسفل قدميها، عندما رأت عبر المرآة الجانبية اليمنى للسيارة شبحًا كاملاً، يقترب منها دون أن يحرك قدميه، فهتفت وهي تشير بيد مرتعشة: "هناك... هناك شبح يقترب منا!!"

التفت (مراد)، ليري ذلك الشبح الذي أصبح بجوار السيارة، فقال وهو يتأمله: "أعتقد أنهم يحاولون التواصل معي، مثلما حدث في القصر".

كان ذلك الكيان الهلامي ذو اللون الأزرق البارد قد انحنى، لينظر بملامح باهتة ضبابية إليهما في مشهد مرعب، و... شهقت (نادين)، وبحركة غريزية عادت تستل مسدسها، في حين قطب (مراد) حاجبيه في شدة.

فما رآه أمامه كان رهيبًا ومفزعًا إلى أقصى حد!

فالشبح انساب بهدوء ونعومة شديدة، واخترق زجاج الباب الأيمن الخلفي للسيارة، وكأنما لا وجود له، وجلس ببطء مخيف على المقعد الخلفي، ينظر إليهما بنظرات خاوية، ولكنها حادة إلى درجة مرعبة. فهمس (مراد) لـ (نادين) في هدوء لا يتناسب مع الموقف الرهيب: "لا تقومي بأي حركة مفاجئة".

كانت لا تحتاج لمثل هذه الكلمات؛ فقد شعرت بالفعل بأن جسدها متجمد، وهي تنظر في رعب واضح إلى الشبح، الذي يشبه إلى حد كبير أحد الضحايا الأربعة، وعلى عنقه ثقبان غائران واضحان، تنفجر منهما دماء قانية في مشهد مفزع. وفي ذهول تام، وجدت (مراد) يقول للشبح بصوت هادئ عجيب: "ماذا تريد؟"

وأمام أعينها، وجدت الشبح يرفع إحدى يديه، ويشير إلى شيء ما في المنتصف بينهما، فالتفتا معًا إلى حيث أشار، فلم يجدا أمامهما شيئًا. وعادت (نادين) تنظر إلى الشبح، بينما توقفت عينا (مراد) عند المرآة الوسطى الأمامية المعلقة بالسقف الداخلي للسيارة، ليرى من خلالها ذلك الشبح وهو يشير إلى شيء ما باتجاهها، و...

فجأة، سمعا صوتًا خافتًا مميز لشروخ واضحة بدأت تظهر على المرآة الصغيرة. ظهر التفكير العميق على ملامح (مراد)، وهو ينظر للشبح عبر المرآة المشروخة، و...

هتف فجأة وكأنما انتبه لشيء ما: "المرآة!"

ووسط دهشة (نادين)، وجدت (مراد) يفتح باب سيارته، ويندفع خارجها في سرعة، فصاحت به وهي تفتح بابها بدورها: "لا تتركني وحدي هنا!"

كانت تعدو وراءه، وهو يتجه عائدًا إلى القصر، وقد لاحظت اختفاء الأشباح فجأة، فدار في أعماقها سؤال واحد: "تري.. ما الذي يفعله (مراد)؟؟"

وبقى سؤالها حائرًا...

** ** ** **

دلف (مراد) إلى القصر في سرعة، تتبعه (نادين) في صمت. ووسط دهشة زملائه، وبخطوات تشبه القفز، صعد السلم المؤدي إلى الدور الثاني، وسار في ممراته، حتى وصل إلى تلك الغرفة المؤدية إلى القبو السري. وفي حزم اتجه إلى حافة المرآة الكبيرة المختفية داخل أرضية الغرفة، وأمسكها بقبضتيه ورفعها إلى أعلى، لتعود مكانها وتخفي مدخل القبو، في الوقت الذي قالت له (نادين) في دهشة: "سيادة المقدم.. ما الذي تفكر فيه بالضبط؟؟"

بدا لها أنه لم يسمعها، وهو يتأمل المرآة، ويفحصها بعينيه باهتمام شديد، إلا أنه أجابها بعد لحظات: "أثناء مطاردة ذلك المخلوق لي، ظهر أمامي أشباح الضحايا، وأشاروا إلى تلك الغرفة التي وجدنا فيها المدخل الخفي للقبو السري. وظهورهم مرة أخرى يعني أن ذلك ليس الشيء الوحيد الذي يريدونني أن أكتشفه. هناك أمر آخر بكل تأكيد".

ثم ابتعد عن المرآة، ليقف في منتصف الغرفة مستطردًا: "هذه المرآة تخفي شيئًا آخر".

نظرت (نادين) إلى المرآة الضخمة، والدهشة لم تفارق وجهها، ثم قالت: "ولكنها مرآة عادية، تغطيها الأتربة الكثيفة و.."

بترت عبارتها عندما وجدته يعود إلى المرآة، ويقف عند حافتها اليمنى، ملصقًا رأسه بالحائط، وقد أغلق إحدى عينيه، ناظرًا بدقة إلى المرآة بزاوية جانبية، وكأنه يحاول أن يتبين شيئًا ما فوق سطحها. ثم اعتدل وهو يتحسسها بأصابعه مغمغمًا: "بالتأكيد هناك شيء ما".

ثم نظر إلى أرضية الغرفة، التي تمتلئ بالأتربة والقاذورات ذات الروائح الكريهة. وتوقفت عيناه عند شيء ما، فمد يده وأمسك ببعض الشوائب الجافة، ومررها أمام أنفه ثم قال: "روث ماعز جاف".

ظهر الاشمئزاز على وجه (نادين)، بينما عاد هو ينظر إلى المرآة يتأملها، ثم هتف فجأة قائلا: "أريد قداحة!"

هزت (نادين) رأسها في دهشة نافية، فاندفع إلى خارج الغرفة في سرعة، ليجد أحد رجال المعمل الجنائي يمارس عمله بالممر الخارجي، فطلب منه قداحة فناوله إياها، ثم عاد إلى الغرفة وأشعلها. وأمام أعين (نادين) الذاهلة قرب شعلتها إلى المرآة، وتحركت يده ليمررها على سطحها، و...

بالتأكيد لن تنسى (نادين) في أول يوم عملها بالقسم ذلك المشهد طيلة حياتها. مشهد ذكرها بأفلام هاري بوتر وأبطال السحر؛ فأمام عينيها اللتين اتسعتا عن آخرهما، وجدت النيران تشتعل

فـوق سـطح المـرآة، وتمتـد بخطـوط منتظمــة، لترسـم بلهيبهـا مجموعـة مـن الحـروف الإنجليزيـة المتراصـة، جـاءت كالتـالي:
Seabsoarbesângele nostru.. Eliaviețile noastre.. "
"Pentru atrăieste..
استمر (مراد) في تمرير الشعلة على منطقة أخرى من سطح المـرآة، فظهـرت تلـك الأرقـام المشـتعلة بـنفس الطريقـة كـالأتـي:
"3337212"
نقلت (نـادين) بصرها بين مـا ظهـر علـى المـرآة وبـين (مـراد)، الذي وقف يتأمل الحروف والأرقام، ثم هزت رأسـها فـي محاولـة منهـا لاسـتيعاب مـا يحـدث أمامهـا، وحاولـت اسـتعادة رباطـة جأشها، فأسرعت بإخراج هاتفها المحمول، وقامت بتصوير ما ظهر على المرآة من عدة زوايا، في حين عقد (مراد) ساعديه أمام صدره، وهو يتساءل: "ما معني هذه الكلمـات؟؟ إنهـا ليست بلغة إنجليزية أو فرنسية".
تأملتها (نـادين) قليلاً، ثم قالت: "أعتقد أنها لغة أهل شمال أو شرق أوروبا.. ولكن..."
صمتت للحظة، ثم استطردت متسائلة وهي تشير إلى ما ظهر أمامها على المرآة: "ولكن كيف اكتشفت ذلك؟؟"
ظهرت ابتسامة صغير على وجه (مراد) وهو يجيب: "أعتقد أن أشباح الضحايا تحاول مساعدتي في إيجاد القاتل؛ فعند ظهورها بهذا الشكل للمرة الثانيـة، شعرت بأنها تريد بإصرار عجيب أن

ترشدني لشيء ما، وبطريقتها غير المباشرة أرادت إبلاغي بشأن هذه المرآة، والتي عندما فحصتها وجدت أن هناك شيء آخر يلتصق على سطحها غير الأتربة، وان كان له نفس اللون، وكان هذا الشيء هو روث الماعز".

ثم تنهد وهو يتابع: "ومن المعروف أن هذا الروث به مادة (نترات البوتاسيوم)، والتي تمثل أكثر من ٧٠% من مكوناته، وهي مادة قابلة للاشتعال، ونتيجة لتوافرها في هذه الغرفة القذرة، استعملها الأشباح بطريقتهم في كتابة ما نراه الآن".

ظهر الإعجاب على وجه (نادين) للحظات، ثم قالت:- "ولكن هذه الحروف والأرقام تزيد الأمر غموضًا".

فقال (مراد) في حزم: "إذا استطعنا فك طلاسمها، فسنصل إلى القاتل مصاص الدماء هذا في أقرب وقت ممكن بإذن الله".

ثم أشار إلى المرآة متابعًا: "ولكن نريد ترجمة لهذه الكلمات أولاً؛ فربما تدلنا على معنى الأرقام".

هتفت (نادين) في حماس: "عندي حل سريع لذلك".

ثم نظرت إلى هاتفها المحمول، وضغطت أزراره بتتابع سريع وهي تستطرد: "هاتفي متصل بشبكة الانترنت.. يمكنني كتابة هذه الحروف، ومعرفة ترجمتها عبر صفحة Google الإلكترونية".

تابعها (مراد) في إعجاب واضح، وهي تنقل الحروف إلى هاتفها، ثم تنتظر قليلاً، بعدها قطبت حاجبيها وهي تقول: "إنها

لغة رومانية.. تعني بالعربية (إنه يمتص دماءنا.. إنه يأخذ حياتنا.. ليعيش هو)".

ضاقت عينا (مراد)، وغمغم مكررًا العبارة وعلى ملامحه التفكير العميق: "لغة رومانية.. يمتص دماءنا.. يأخذ حياتنا.. ليعيش هو".

تحرك في أرجاء الغرفة للحظات مفكرًا، ثم استطرد قائلاً لها: "إنها كلمات محفورة في قبو قصر شهير بمقاطعة (ترانسيلفانيا) الرومانية.. كان صاحبه يتلذذ بتعذيب ضحاياه".

تساءلت (نادين) في دهشة: "ومن هو؟؟"

مال (مراد) نحوها مجيبًا: "الأمير الروماني الكونت (فلاديمير تيبس).. أو..."

صمت لحظة، ثم أضاف بصوت خيل لـ (نادين) أنه عميق للغاية: "الكونت دراكولا".

واتسعت عيناها إلى أقصى حد..

مع تلك الإجابة المخيفة..

جدًا!

** ** ** **

(١٠) البحث...

بدقة واهتمام شديدين، وداخل الجراچ الخاص بمديرية الأمن، أخذ (مراد) يفحص سيارات الضحايا؛ في محاولة منه للعثور على أي شيء قد يفيد قضيته. وبعد انتهائه من فحص سيارتين، كانت عقارب الساعة تشير إلى السادسة والنصف صباحًا. وقف أمام السيارة الثالثة، الحمراء الأنيقة الفارهة من ماركة (تويوتا). دار حولها دورة كاملة، ثم فتح بابها، وجلس خلف مقودها، وتأمل التابلوه الذي ينطق بالفخامة، ويتناغم مع تصميم السيارة العصري. كانت من النوع التي يدور محركها بالبصمة. أخذ يتطلع إلى كل جزء فيها، حتى توقفت عيناه كثيرًا عند جهاز صغير موجود خلف المرآة الوسطى، ثم انتقلت عيناه إلى تلك الشاشة الكبيرة التي تتوسط التابلوه، وقد قفزت فكرة عجيبة إلى عقله.

عجيبة للغاية!

للدرجة التي جعلته يغمغم في خفوت:-"ماذا لو...؟؟"

وبعد لحظات من التفكير العميق، ألقى نظرة سريعة إلى ساعته، ثم ترجَّل من السيارة، واتجه مباشرةً إلى المصعد ليستقله، ويصعد إلى مكتبه بالطابق السادس. وأمام شاشة الكمبيوتر

الخاص به، أخذ يضغط أزراره بتتابع سريع، ثم نظر إلى الموقع الإلكتروني الذي ظهر له، فتنهد مغمغمًا:-"مازال أمامي ساعتان".

ثم عاد يضغط أزراره، لتظهر أمامه بتتابع منتظم الصور الخاصة التي التقطها رجال البحث الجنائي من زوايا مختلفة لجثث الضحايا، ثم توقف أخيرًا أمام صورتين. الأولى تم التقاطها من أحد جدران القبو، وتظهر فيها النجمة الخماسية وعلى قمتها شكل لرأس ماعز. والثانية تظهر فيها الكلمات والأرقام التي كانت على سطح المرآة.

تجمدت عينا (مراد) حول الصورتين، وبدا كيانه كله غارقًا في التفكير طوال ساعة كاملة. وفجأة دب النشاط في جسده، وراح يسجل بعض الملاحظات على جهازه، ثم تناول سماعة هاتفه، وضغط على أزراره في تتابع سريع، وانتظر للحظات، صاح بعدها في لهجة بدت مرحة:-"مرحبًا بزميلي العزيز (خالد). كيف حالك في الإنتربول؟ وكيف حال لندن؟ أمازلت تهوى الإفطار في مطعم (كازن) بشارع (ويلتون)؟"

ثم ضحك ضحكة قصيرة، واكتسب صوته الجدية الشديدة وهو يستطرد:-"أولاً أعتذر على الاتصال بك في مثل هذا الوقت المبكر؛ فأنا أعلم أن الساعة عندك تعدت الخامسة والنصف صباحًا، ولكنها الضرورة القصوى. ثانيًا سأرسل لك حالاً ملفًا هامًا على بريدك الإلكتروني، يحوي صورة لنجمة خماسية،

ومرفق معها بعض الأسئلة والاستفسارات، التي أتمنى إجراء بحث سريع ومكثف عنها. نعم.... أشكرك جزيلاً لهذا التعاون.. وسأنتظر ردك".

ثم أغلق هاتفه، وعاد ينظر بتمعن إلى تلك الأرقام.

بالتأكيد لها معنى ومدلول. بل وحل القضية كلها يكمن فيها..

ولكن.. كيف ذلك؟؟ كيف؟؟

وظلت الأسئلة حائرة.. غامضة.؟

تبحث عن إجابة.

أي إجابة!

** ** ** **

أشارت عقارب الساعة إلى التاسعة صباحًا، عندما دلف (مراد) بوجه جامد الملامح، إلى داخل مبني خاص بتوكيل سيارات (تويوتا) بالإسكندرية. وفي صوت صارم سأل الحارس:-"أين مكتب المدير؟"

فأجابه الحارس بصورة روتينية:-"هل هناك موعد سابق؟"

قال (مراد) بلهجة توحي بأن الأمر هام:-"لا.. ولكنني أريد مقابلته على الفور. قل له المقدم (مراد عبد الحميد) من مباحث الإسكندرية قسم القضايا الخاصة".

اعتدل الحارس وهو يقول باحترام بالغ:-"عذرًا يا سيدي.. سأقوم بإبلاغه حالاً".

وبعد لحظات قليلة، كان مدير التوكيل يستقبل (مراد) بالطابق الثاني من المبنى، وعلى وجهه ابتسامة حائرة، وهو يتساءل في دهشة:-"مرحبًا بك أيها المقدم (مراد). أي خدمة أستطيع أن أقوم بها؟"

سأله (مراد) في اهتمام بالغ ودون مقدمات:-"هل تملك السيارة (تويوتا كرولا) موديل العام الحالي صندوقًا أسودًا مثل الطائرات؟"

ابتسم المدير قائلاً:-"نعم يا سيدي.. ولكن ليس في كل السيارات؛ لأنها من الكماليات شديدة الخصوصية، وتخضع لرغبة العميل في إذا كان يريد إضافتها كميزة تميزه عن الآخرين أم لا".

عاد (مراد) يسأله في جدية شديدة:-"هل يستطيع هذا الصندوق تسجيل ما يحدث حول السيارة والاحتفاظ به لمدة محددة مثلاً؟"

أومأ الرجل برأسه وهو يجيب:-"نعم.. فترة التسجيل قد تمتد إلى ٢٤ ساعة كاملة تقريبًا، ثم يتم محوها وإعادة تسجيل اليوم الأحدث وهكذا. وهو مفيد في تسجيل فيديو مفصل لحادث يصيب السيارة، أو تصوير حادث مروري وقع أمامها أو خلفها، ويسجِّل أيضًا بعض المضايقات التي قد يتعرض لها السائق في طريقه. ليس هذا فقط؛ بل يقوم بتسجيل البيانات، وحالة السيارة الميكانيكية والكهربائية ككل؛ فهو أشبه قليلاً بالصندوق الأسود

الخاص بالطائرات بالفعل، وإن كان يختلف بالطبع عنه في حجم الأداء والقوة في حفظ وتحليل البيانات".

ناوله (مراد) ورقة صغيرة، وهو يقول في حزم:-"حسنًا.. هذا رقم السيارة.. أريد الاطلاع على صندوقها الأسود حالاً".

نظر الرجل إلى الورقة، ثم تأمل (مراد) للحظة، قائلاً له في تساؤل:-"أأنت مالكها؟"

- "لا".

- "وأين مالك السيارة؟"

- "راح ضحية لجريمة قتل".

قال الرجل في أسف:-"في هذه الحالة، لابد أن أطلع على إذن النيابة لكي..."

قاطعه (مراد) في صرامة شديدة وهو يضع بطاقته الذهبية المميزة أمام عيني المدير:-"اسمع أيها المدير.. إنني ضابط من قسم قضايا فوق العادة بمديرية أمن الإسكندرية، ولي كامل الصلاحيات في عملي، فإما أن تنفذ ما طلبته منك، أو أقوم بإلقاء القبض عليك فورًا بتهمة عرقلة رجل أمن أثناء القيام بعمله".

ظهر الارتباك الشديد على وجه المدير، ثم قال:-"حسنًا.. حسنًا.. تفضل".

هبط معًا إلى الطابق الأرضي، والذي يحتوي على العديد من المعدات والأجهزة الحديثة، وكذلك أجهزة الكمبيوتر المتطورة، والمتخصصة في إصلاح الأعطال. وفي طريقهما قال المدير:-

"السيارات الحديثة تحولت الآن إلى أجهزة كمبيوتر متحركة، وكل سيارة أصبح لها كود و(سيريال) مرتبط برقم لوحتها، لدرجة أنه يمكننا الدخول إلى الكمبيوتر المتحكم بها، والكشف عن الأعطال وإصلاحها عن بُعد، دون حتمية وجودها هنا في مركز الصيانة".

كان (مراد) صامتًا، وهو يسير بجوار المدير، الذي لاحظ عدم رغبة الأول في متابعة ما يقوله، فاكتفى بما قاله وساد الصمت بينهما، حتى وصلا إلى أحد الفنيين الجالسين أمام شاشة كمبيوتر ضخمة، قال له مدير التوكيل وهو يناوله الورقة المدون عليها رقم السيارة:-"أريد معرفة كل شيء عن هذه السيارة".

وفي سرعة، قام الفني بتنفيذ ما أمر به مديره، وما هي إلا لحظات حتى ظهرت بعض البيانات والأرقام المتراصة على الشاشة. وهنا قال المدير:-"أريد رؤية ما تم حفظه في صندوقها الأسود من معلومات، وخاصة الفيديو".

أضاف (مراد) قائلاً للفني:-"تحديدًا.. آخر دقيقتين".

وأمام عيني (مراد)، نقلت الشاشة مقطع فيديو يظهر في أقصى اليسار منه صورة كاملة للضحية الثالثة، وهو يتحرك ثم يقف، و...

ومن اليمين ظهرت هي..

الفتاة..

الغامضة!

** ** ** **

ألقت (نادين) نظرة مرهقة على ساعتها، التي أشارت عقاربها إلى العاشرة صباحًا، داخل أحد مختبرات المعمل الجنائي بمبنى المديرية، وغمغمت قائلة في إجهاد:-"يا إلهي! لم أنم منذ البارحة. كم أتمني أخذ قسطًا من الراحة، ولو لمدة ساعة واحدة فقط".

ثم هزت رأسها في قوة، وزفرت متوترة، وهي تقول لنفسها في حزم مفاجئ:-"هيا يا (نادين).. ليس هناك وقت للراحة طالما يوجد قاتل هارب، ربما يبحث عن ضحية أخرى".

وعادت تتنقل بين النظر إلى الميكروسكوب الإلكتروني للحظات لفحص عينة اللعاب، وتدوين بعض الملاحظات العلمية في كراستها الخاصة، و...

تراجعت إلى الخلف كالمصعوقة، وهي تهتف:-"مستحيل!"

واتسعت عيناها في دهشة، وهي تعود لتنظر عبر الميكروسكوب، ثم تلقي نظرة إلى ما قامت بتدوينه، ثم أمسكت القلم وعادت تسجل كافة القراءات الظاهرة على شاشات الأجهزة العلمية التي حولها، ثم أخذت تخط بقلمها حاصل ناتج بعض التحليلات، وعلى وجهها التركيز العميق و... وشهقت في رعب، وسقط القلم من يدها.

فما توصلت إليه كان شيئا عجيبًا ورهيبًا..

إلى أبعد الحدود!

** ** ** **

صاح اللواء داخل مكتبه في استنكار شديد، موجهًا كلماته لـ (نادين):-"مستحيل أيتها النقيب.. ما تقولينه هو المستحيل بعينه!"

هتفت (نادين):-"ولكن هذا ما توصلت إليه بالفعل يا سيدي!"

عاد يقول في شيء من الحدة:-"بالتأكيد هناك خطأ ما".

تنهدت وهي تقول:-"لقد قمت بإعادة خطوات تحليل اللعاب أكثر من خمس مرات، وفي كل مرة تأكدت من سلامة الأجهزة بالمختبر. وكانت النتيجة واحدة".

أشار إلى التقرير الذي قدمته له قائلاً:-"ما جاء في تقريرك هذا لن يصدقه أحد".

هدأ صوته قليلاً، وهو يستطرد:-"صحيح أننا نواجه قضايا عجيبة تبتعد عن العقل وكل ما هو طبيعي، ولكن لها منطقها أيضًا. أما النتيجة التي توصلتِ إليها تخطت كل الحدود، و..."

وهنا انفتح باب مكتبه، ليدلف منه (مراد) في سرعة، ومعه جهاز اللاب توب الخاص به، فتابع صائحًا:-"هلم يا (مراد).. لقد وصلتَ في الوقت المناسب.. النقيب (نادين) تتمسك بنتيجة مجنونة ورهيبة".

جلس (مراد) في المقعد المقابل لها، بينما قطبت (نادين) حاجبيها وقالت للمدير بشيء من الغضب:-"سيدي.. يمكنك انتداب فريق علمي على أعلى مستوى، ليقوم بتحليل تلك العينة،

وليتأكد من صحة ما قمت به. ولكنني أؤكد بأنه سيصل في النهاية إلى نفس النتيجة التي توصلت إليها".

سألها (مراد) في بطء مقتضب:-"وما هي؟"

التفتت إليه صائحة بكل تأكيد وثقة:-"أن القاتل عمره أكثر من خمسة قرون ونصف".

وكانت مفاجأة مذهلة.

ومفزعة.. إلي أقصى حد!

** ** ** ** ** ** ** **

(١١) فوق العادة...

تجمدت ملامح (مراد) للحظات، قبل أن يقول في هدوء لا يتناسب مع النتيجة الرهيبة التي توصلت إليها (نادين):-"وماذا أيضًا؟؟"

أجابت في حزم:-"تحليل اللعاب أيضًا يوضِّح أنه يعاني من خلل عجيب في مكونات الدم، كما أن جيناته الجسدية والعصبية مصابة بطفرة مذهلة في خصائصها، تجعله قابلاً للتغير والتحول".

عاد يسألها في هدوء عجيب:-"وماذا عن أشلاء الأطفال؟؟"

قالت بمزيج من الجدية والحنق:-"هناك فريق كامل يحاول التوصل إلى أي شيء بخصوصهم، عن طريق تحليل الدم، والـ DNA، ومراجعة كافة بلاغات اختفاء الأطفال. وإن كنت أرجِّح أنهم من أطفال الشوارع الذين لا أصل لهم أو مأوى؛ وهذا واضح من ملابسهم القديمة المتسخة جدًا".

عاد السكون يلف المكان، حتى بدا صوت الأمطار التي تهطل بالخارج وترتطم بزجاج نافذة المكتب واضحًا للغاية، فهتف اللواء في توتر واضح:-"(مراد).. صمتك هذا يعني الكثير".

أومأ (مراد) برأسه، ثم تنهد وهو يقول:-"استنتاجك صحيح يا سيدي؛ فأنا متفق معها تمامًا فيما توصلت هي إليه، بل ولدي دليل آخر يدعم تقريرها بما لا يضع مجالاً لأي شك".

ساد الصمت للحظات طويلة، واللواء ينظر إلى (مراد) بنظرات حائرة متسائلة، بينما ظهر الفضول الشديد على وجه (نادين)، في حين نهض (مراد) من مكانه وهو يقول:-"اسمح لي أن استخدم جهاز (البروچيكتور) الخاص بسيادتكم؛ حيث سأقوم بتوصيل جهازي به لشرح ما توصلت إليه خلال الساعات القليلة الماضية".

أومأ المدير برأسه موافقًا، وبعد خمس دقائق كاملة كان (مراد) يقف أمام الشاشة الكبيرة التي بثها (البروچيكتور) على الحائط المقابل لمكتب المدير. وفي هدوء عجيب تنهد (مراد) ثم قال:- "في البداية أستطيع القول أن ظهور النجمة الخماسية التي يعلوها رأس الماعز في مسرح الجريمة، كان له أكبر الأثر في التفكير بشكل مختلف؛ فهذا الشعار المرعب، والذي يرمز للشيطان، هو شعار عالمي، وله طقوسه الدموية الخاصة؛ وهذا ما جعلني أستعين بصديق لي يعمل في الإنتربول بمقره الرئيسي بلندن، وشرحت له ما حدث، وطلبت منه حصر جميع الجرائم التي حدثت بنفس الكيفية والظروف. وبالفعل، صدق حدسي. ووجدته يرسل لي ٤٩ جريمة مشابهة، بـ ٤٩ دولة حول العالم، على مدار ٤٩ سنة، بل وفي نفس التوقيت تقريبًا. ولكن

العجيب، ولسبب ما، كان فصيلة دم ضحايا آخر ١٠ جرائم هي (O-). كل جريمة كان ضحاياها خمس، والمشتبه بهما رجل وفتاة لم يرهما أحد. اختلاف الأماكن هو السبب الوحيد الذي جعل الإنتربول عاجزًا عن القبض عليهما؛ فاختيار المكان عشوائي بدرجة لا يمكن معها تتبعهما أو استنتاج خطوتهما القادمة، وهنا كان الموعد مع الجريمة رقم ٥٠، في السنة الخمسين على التوالي، في الدولة رقم ٥٠، وهي (مصر)".

صمت للحظات، ثم تابع وسط الدهشة العظيمة التي أحاطت باللواء و(نادين):-"أما الدليل القوي، والذي يؤكد صحة النتيجة التي توصلت إليها النقيب (نادين)، فيتلخص في البصمة ذاتها".

ثم مد يده إلى جهاز اللاب توب، وضغط عدة أزرار، لتظهر بصمتان على الشاشة المنعكسة على الحائط، فاستطرد قائلاً:- "فعندما حاولت أن أجد رابطًا بين تلك المعلومات التي أرسلها لي صديقي، وبين معطيات القضية، وأهمها تلك الكلمات والأرقام الغامضة التي كتبها الأشباح على سطح المرآة بالقصر بهدف إرشادي وتوجيهي إلى شيء ما، خطرت لي فكرة عجيبة".

مد يده ليشير إلى البصمة اليمني متابعًا:-"هذه البصمة تم رفعها من مكان الجريمة".

ثم أشار إلى البصمة اليسرى مضيفًا:-"وهذه بصمة قديمة، مسجلة وموجودة في عدد من المتاحف بأوروبا، بل وعلى عدد من المواقع الإلكترونية المتخصصة في التاريخ الأوروبي".

ثم عاد يمد يده إلى اللاب توب، وهو يتابع:-"فإذا طلبنا من هذا البرنامج المتخصص في البصمات، وضغطنا على ذلك الأمر الذي يوضح إلى أي مدى تتطابق البصمتان سنجد الأتي".

وأمام أعين اللواء و(نادين) الذاهلة، تحركت البصمتان لتتقابلا فوق بعضيهما، وبعد لحظة واحدة انطلق أزيز خافت متصل، بينما يقول (مراد) :-"سنجد أن البصمتين متطابقتان بنسبة ١٠٠%".

هتفت (نادين) في مزيج عجيب من التوتر والدهشة والفضول:- "ومن صاحب البصمة الثانية؟؟"

تحرك (مراد) صامتًا في أرجاء الغرفة، ثم التفت إليهما قائلاً بصوت عميق بارد كالثلج:-"البصمة الثانية للكونت (دراكولا).. شخصيًا".

شهقت (نادين) في ذعر. ورغم أن إجابة (مراد) تدعم بالفعل النتيجة التي توصلت إليها، إلا أن قشعريرة عجيبة أصابت جسدها، في حين أمسك اللواء رأسه بكلتا يديه، غير مصدق ما سمعه، وعلى وجهه أقصى علامات الذهول.

فقد كانت الإجابة رهيبة..

رهيبة بلا حدود!

ولا أحد يعلم كم من الوقت مر عليهم، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة، حتى غمغم اللواء في توتر ملحوظ:-"هل تريد القول أن

(دراكـولا)، ذلـك الأسـطورة القديمـة، يعـيش بيننـا الآن هنـا فـي مصر، ويلتقط ضحاياه من شوارع الإسكندرية!؟"
أومأ (مراد) برأسه، وهو يضيف:-"ليس هذا فقط، بل وتساعده فتاة غامضة في تنفيذ جرائمه".
ثم عاد إلى جهازه وهو يتابع:-"وهذا هو اكتشافي الثاني".
وضغط عدة أزرار، لتظهر على الشاشة مقطع فيديو، يظهر فيه الضحية الثالثة ومعه الفتاة، واقفين يتبادلان حديثًا قصيرًا وسط الظلام والرياح الشديدة.
اتسعت عينا (نادين) في انبهار، واعتدل اللواء في مقعده، وهو يتطلع إلى الشاشة باهتمام شديد، وقد انعقد حاجباه وهو يتمتم في دهشة عظيمة:-"يا إلهي! من أين أتيت بهذا؟"
لم يكن وجه الفتاة واضحًا كفاية، وان كانت لها نفس المواصفات التي ذكرها الشاهد الوحيد للضحية الأولى: سروال ضيق من الجينز الأزرق، قميص وردي خفيف، شعر أشقر يتناثر في جميع الاتجاهات بفعل الرياح الشديدة ليحجب جزءًا كبير من ملامح وجهها. وأمام أعين (نادين) واللواء، وجدوها تشير إلى شيء ما خلفها، فقال (مراد) في خفوت:-"إنها تشير إلى القصر".
وشاهد الجميع الضحية، وهو يرفع يده باتجاه السيارة، ليظهر بين أصابعه جهاز صغير، وبدا واضحًا أنه خاص بالتحكم بالسيارة، وما إن ضغط زرًا به حتى اختفت الصورة.

وهنـا قـال (مـراد):-"بالتأكيـد لاحظنـا جميعًا أن وجـه الفتـاة غيـر واضـح. ولكـن اسـتطعت، ومـن خـلال المتابعـة الدقيقـة للفيـديو، تثبيت صورة تظهر فيها بعض ملامحها فـي جزء من الثانيـة، وعن طريق برنامج خاص بتكوين وتحديد الوجوه توصلت إلـى وجه كامل، يكاد يقترب من الحقيقـي بنسبة تتعدى الـ ٧٥%.. وسيظهر حالاً على الشاشة".

وبالفعل ما هي إلا لحظات، وظهرت صورة لفتاة جميلـة، تمتلك ملامح أوروبية دقيقة، فقال (مراد) وهو يشير إليهـا:-"هذه هـي أقرب صورة للمشتبه بها في قضيتنا".

كانـت (نـادين) أول مـن هتفت بلهجـة تحمـل مزيجًـا مـن الدهشـة والإعجاب:-"رائـع يـا سيادة المقدم! ولكن أسمح لـي بـأن أكـرر سـؤال سـيادة اللـواء، وهـو كيـف اسـتطعت الحصـول علـى هـذا المقطع المصور؟؟"

فأجابها (مراد):-"كنـتُ قد قرأت منذ فترة قصيرة عن سيارات حديثـة يسـتطيع المـرء أن يزودهـا بتقنيـات الصـندوق الأسـود، فذهبت إلى التوكيل الخاص بموديل سيارة الضحية الثالثـة، الذي يبدو وأنه كان حريصًا على مواكبـة أحدث تكنولوجيـا السيارات، وحصلت على هذا المقطع منهم".

ابتسم اللواء، وهو ينظر بإعجاب إلى (مـراد)، الـذي عـاد وضـغط زرًا بجهـازه الـلاب تـوب، وأعـاد مقطـع الفيـديو، وأخـذ يقتـرب بخاصية الـ Zoom على وجه الضحية الثالثة، قائلاً:-"مـا أريده

الآن هو خبير في قراءة، الشفاه لمعرفة ماذا كان يقول الضحية الثالثة لها؛ لاستنتاج الحديث بشكل عام".

صاحت (نادين) قائلة في حماس:-"أستطيع ذلك؛ فلقد حصلت دورة تدريبية في هذا الشأن".

ابتسم (مراد) وهو ينظر إليها بإعجاب، ثم اكتسبت ملامحه الجدية الشديدة وهو يقول لها:-"حسنًا.. أمامك الفيديو.. ابدئي حالاً".

ظهر الانتباه على وجه (نادين)، وهي تتابع المقطع بدقة شديدة، وبعد دقيقة كاملة قالت:-"هو يعرفها جيدًا.. اسمها (هناء). يبدو أنه كان مرتبطًا بها، فهو يعترف أنه مازال يحبها".

انتهي المقطع القصير، فقالت (نادين) وهي تنهض من مكانها:-"هذا كل ما في المقطع. أعتقد أن خطوتنا القادمة الذهاب إلى عائلته، ومعرفة من هي (هناء) هذه".

فقال اللواء لها وهو ينهض بدوره:-"ولكن سبق وأن قال (مراد) بأنها تملك القدرة في التأثير على الآخرين، فربما يتصور هو بأنها (هناء)، ولكنها ليست هي في الواقع".

قالت (نادين) في حزم:-"معذرة يا سيدي، ولكن هناك قاعدة ثابتة في أسلوب البحث والتحري، وهي ألا نهمل أو نتخطى أية معلومة ظهرت لنا، حتى ولو بدت تافهة أو غير مجدية؛ فربما تفيدنا في القضية".

هز (مراد) رأسه بالإيجاب قائلاً:-"إنني أتفق معها يا سيدي".

ثم استطرد قائلاً لها:-"حسنًا.. اذهبي أنتِ وقومي بالتحريات اللازمة عنها. أما أنا فسأحاول البحث عن طريقة لحل شفرة تلك الأرقام الغامضة".

أومأت (نادين) برأسها، وهي تنهض قائلة:-"أمرك يا سيادة المقدم".

ثم التفتت إلى اللواء مستطردة:-"أستأذنك في الخروج يا سيدي".

أشار لها اللواء بيده صامتًا. وبعد خروجها من المكتب قال لـ (مراد) وهو ينظر إليه بنظرة خاصة:-"أعتقد بأنك تريد أن تخبرني بشيء ما".

أومأ (مراد) برأسه موافقًا، وهو يقول بلهجة غامضة:-"نعم يا سيدي. هو في الحقيقة طلب خاص بمعنى أدق".

قال اللواء، وقد ظهر عليه الاهتمام الشديد:-"قل ما لديك".

وأخبره (مراد) بطلبه..

وعادت عينا اللواء تتسع بشدة، وعلى وجهه مزيج من الدهشة والانبهار.

فما كان يقوله (مراد) عجيبًا وغريبًا.

ومبتكرًا أيضًا.

** ** ** **

تأملت (نادين) تلك البناية الضخمة، الواقعة في أحد الأحياء الراقية بوسط المدينة، ثم خطت بضع خطوات عبر مدخلها

الفسيح الذي ينطق بالفخامة، وذهبت مباشرةً إلى رجل الأمن الخاص متسائلة:-"هل تسكن (هناء شكري) هنا؟؟"

- "نعم.. ولكنها ليست موجودة الآن في شقتها".

- "ومتى ستعود؟؟"

- "لا اعلم".

ثم تحركت عيناه، لينظر إلى شيء ما خلفها، هاتفًا:-"ها هي قد وصلت".

والتفتت (نادين)، لتجد أمامها مفاجأة!

ولكن هذه المرة كانت مفاجأة متوقعة.

** ** ** **

- "بالتأكيد كان شيئًا متوقعًا".

قال (مراد) عبارته في هدوء، وهو يقود سيارته، بينما تجلس بجواره (نادين)، التي قالت في انفعال واضح:-"لقد ذهبت إلى أسرته، وقالوا لي أن (هناء) هذه بطلة قصة حب قديمة معه قبل زواجه بفترة، وحصلت منهم على عنوان سكنها ورأيتها. تصور أنها مختلفة اختلافًا كليًا عن تلك التي ظهرت معه في مقطع الفيديو، ومع هذا كان يتحدث مع تلك المزيفة.. وكأنها حقيقية!!"

تنهد (مراد) قائلاً:-"من الواضح أنها تملك قدرة رهيبة لقراءة الذكريات، واختيار الشخصية المحببة للنفس من أعمق أعماق الضحية، فتتحكم في عقله وتسيطر عليه، وتبرز صورة تلك

الشخصية، وتضعها أمام عينيه، فيتصور أنه يتكلم معها في الواقع".

سألته (نادين):-"هل توصلت إلى أي شيء بخصوص هذه الأرقام؟"

أجابها في حنق واضح:-"للأسف لا. حاولت أن أجد أي علاقة تربط بينهم وبين القضية، ولكن دون جدوى".

سألته مرة أخرى:-"ولماذا تعود إلى ذلك الشارع؟؟"

- "لأن (دراكولا) هذا موجود هناك، فمن المستحيل أن يدير جرائمه وهو بعيد عن ذلك القصر الملعون المهجور، والذي كان يقوم فيه بطقوسه الدموية البشعة".

- "ولكن أليس هناك احتمال أن يكون ترك مكانه وهرب بعد اكتشاف الجثث؟"

- "احتمال وارد، ولكن من الصعب تحقيقه في ظل ذلك الحصار الأمني الذي يطوق الشارع من جانبيه، بما لا يسمح بعبور أي مخلوق إلا بعد إثبات شخصيته. بالإضافة إلى كاميرات المراقبة".

- "ولكن من الممكن أن يقوم بالتأثير على عقولهم، ويعبر بسهولة".

- "لذلك طلبت أن يكون عدد كبير من الأفراد في كل كمين؛ فمن الواضح أن تلك الفتاة التي يستعين بها (دراكولا) لا تستطيع

التحكم إلا بعدد محدود من العقول؛ وإلا كانت تحكمت في كل من تواجدوا بالقصر".

أومأت برأسها صامتة، في الوقت الذي انحرف فيه بسيارته، وتوقف أمام بوابة إحدى الكمائن الأمنية التي تحاصر الشارع، ليقترب منه أحد الضباط، قائلاً له بشيء من الصرامة:-

"أوراقكما من فضلكما".

ناوله (مراد) بطاقته، وكذلك فعلت (نادين)، فاعتدل الضابط وهو يقول في احترام بالغ، وهو يشير إلى مساعديه بفتح البوابة:-

"مرحبًا بكما".

سأله (مراد) في لجهة قوية، وهو يستعد للانطلاق بسيارته:-

"الأمور تسير على ما يرام؟"

أجابه الضابط بلهجة عسكرية:-"تمام يا سيدي. لا أحد يمر دون التأكد من شخصيته، بالإضافة إلى كاميرات المراقبة التي تسجل كل شيء. ولكن هناك حادث سرقة بسيطة وقع في مستشفي خاص بالشارع".

انتفض (مراد) في مكانه، وقطب حاجبيه وهو يسأله:-"حادث سرقة!! ماذا حدث؟؟"

عاد الضابط يجيبه:-"إدارة المستشفى أبلغت منذ قليل عن اختفاء ٤ أكياس من الدماء فصيلة (O-)".

تبادل (مراد) و(نادين) نظرات ذات مغزى، فسألته هي:-"وأين تقع هذه المستشفى؟؟"

أشار الضابط بيده، وهو يقول:-"هناك.. عند سيارة الشرطة الواقفة أمام البناية رقم ٣٣٣، والتي تقع داخلها المستشفى، وتحتل طابقين كاملين منها".

اعتدل الاثنان في حدة في نفس الوقت، وهما يكرران في صوت واضح أدهش الضابط:-"رقم ٣٣٣".

وكانت مفاجأة أخرى غير متوقعة بالمرة.

ولكنها تعني الكثير..

الكثير جدًا!

** ** ** ** ** ** ** **

(١٢) المواجهة...

رغم تجاوز عقارب الساعة الخامسة مساءً، إلا أن الظلام حل سريعًا على مدينة الإسكندرية؛ بسبب الغيوم الكثيفة، التي تكاثرت لتصنع حائلاً رهيبًا بينها وبين أشعة الشمس، التي اختفت تمامًا. ووسط الأمطار التي بدأت في التساقط، قفز (مراد) من أعلى سطح بناية ضخمة إلى سطح البناية المجاورة، وتبعته (نادين) قائلة:-"هل تتوقع بالفعل أن دراكولا هنا؟؟ في البناية رقم ٣٣٣ والتي نعتلي سطحها الآن؟؟"

أجابها (مراد) وهو يتجه إلى الباب الذي يفصل بين السطح وسلالم البناية:-"لدي إحساس عميق بذلك. لقد أرادت أرواح الضحايا أن ترشدني إلى القاتل، ولو صح استنتاجي، فإن دراكولا يسكن في إحدى الشقق بتلك البناية".

قالت هي متسائلة:-"أليس من الأفضل الاتصال بالإدارة لطلب الدعم من رجال المباحث ليكونوا معنا؟؟"

قال هو:-"لابد من التأكد أولاً".

كانا قد أصبحا داخل البناية، ونزلا إلى الطابق الأخير، فهمست (نادين) في حذر وهي تتلفت حولها:-"من الواضح أن كل طابق به ثلاثة شقق".

غمغـــم (مـــراد) قـــائلاً وعلـــى وجهـــه التفكيـــر العميـــق:-"٣٣٣٧٢١٢".

ثم استطرد:-"٣ × ٧ = ٢١".

هتفت (نادين) في خفوت:-"أنت تعني أن رقم ٧ يرمز إلى..."

قاطعها قائلاً:-"الدور السابع".

تابعت قائلة:-"ورقم ٢١ هو رقم الشقة".

أومأ (مراد) برأسه بالإيجاب، بينما سألته هي:-"ولكن إلى ماذا يرمز الرقم الأخيـر؟؟ رقم ٢؟"

نظر (مراد) في الفراغ، وهو يهتف:-"إلى رجل وفتاة، أو بمعنى أدق (دراكولا) ومساعدته".

وبدون إضاعة لحظة، أو حتى انتظار المصعد، انطلقا ينزلان من الطابق الأخير إلى ذلك الطابق.

إلى الطابق السابع.

وعند الطابق الثامن، توقف (مراد) والتفت إلى (نادين) قائلاً لها بصوت خافت صارم:-"انتظريني هنا أيتها النقيب!"

قطبت (نادين) حاجبيها قائلة في اعتراض:-"ولكنني أريد أن أكون معك".

ثم استطردت متسائلة:-"ألسنا شريكين في فريق واحد!؟"

هتـف (مـراد) فـي صـرامة قويـة مكتومـة:-"هـذا أمـر أيتهـا النقيب!"

عقدت ساعديها أمامها، وظهر الضيق الشديد على ملامحها، وهي تنظر إلى الأرض صامتة، فلان صوت (مراد) وهو يهمس:-"أيتها النقيب.. الله وحده يعلم بما سوف نجده في الداخل، فمن الأفضل أن..."

قاطعته هي قائلة في إصرار:-"معذرة يا سيادة المقدم.. ولكنني لم أتقدم للالتحاق بقسم (قضايا فوق العادة) حتى أكون هنا في انتظارك، بينما أنت هناك تواجه المخاطر وحدك".

تأملها (مراد) للحظات، ثم تنهد وهز رأسه موافقًا أمام إصرارها الشديد قائلاً:-"حسنًا.. ولكن كوني على حذر وحرص دائمين، وسأكون بجوارك دائمًا. وليكن الله معنا".

ابتسمت ابتسامة مشرقة جذابة، فرد عليها (مراد) بابتسامة صغيرة، ثم اكتسبت ملامحه الجدية الشديدة، وهو يهتف:-"هيا بنا!"

و...

أصبحا في الطابق السابع. توقفا أمام الشقة رقم ٢١.

وفي هدوء عجيب، مد (مراد) يده ليضغط زر جرس الشقة.

لحظات، مرت عليهما كالدهر، حتى سمعا صوت الباب وهو يفتح ببطء. تحفزت عضلات (مراد)، و..

وظهرت الفتاة!

فتاة أوروبية الملامح، ترتدي ملابس بسيطة خفيفة، تتعارض مع برودة الجو. وشهقت (نادين) شهقة مكتومة خافتة جدًا

عندما رأتها؛ فقد كانت قريبة الشبه جدًا من تلك الصورة التي أظهرها برنامج الوجوه.

وفي هدوء حازم قال (مراد):-"المقدم (مراد).. والنقيب (نادين).. من مديرية أمن الإسكندرية".

تأملتهم الفتاة قليلاً بوجه خال من أي انفعال، ثم قالت ببرود:-"ماذا تريدان؟؟"

أجاب (مراد) بلهجة صارمة بعض الشيء:-"الإجابة على بعض الأسئلة".

استندت بجسدها على الباب، وهي تقول بلهجة جافة مقتضبة مستفزة:-"وما هي؟؟"

نظر إليها (مراد) بنظرات ثابتة، وهو يقول في برود مماثل:-"هل لديك مانع في إلقاء أسئلتنا بالداخل؟؟"

ظهرت ابتسامة غامضة على ملامحها، وقالت بلهجة عجيبة وهي تفسح الطريق للدخول:-"وما المانع!؟ تفضلا".

وما أن دخلا إلى الشقة، حتى سرت القشعريرة في جسد (نادين)؛ فقد كانت الشقة قاتمة مخيفة، و... باردة! ليست برودة طبيعية، وإنما أقرب إلى الصقيع، كأنها في ثلاجة ضخمة. دق قلبها في عنف عندما تسللت إلى أنفها رائحة تعرفها جيدًا.

رائحة دماء.. طازجة.

في الوقت الذي قال فيه (مراد) بلهجة لاذعة:-"من الجيد أنك تتحدثين العربية بطلاقة".

أغلقت الفتاة الباب، والتفتت إليه تسأله وهي تقترب منه متجاهلة عبارته:-"ها أنت بالداخل الآن. فما هي أسئلتك؟؟"
أخرج (مراد) من جيبه هاتفًا محمولاً، وقام بتشغيل مقطع فيديو من خلاله، وقربه أمام عينيها قائلاً في حدة:-"هل هذا الفيديو يخصك؟؟"
تابعت الفتاة المقطع حتى نهايته، بملامح لا تنطق بأي انفعال، ثم هزت كتفيها قائلة في لامبالاة:-"وما علاقتي بهذا الفيديو التافه الذي لا معنى له!!؟"
سألتها (نادين) في حدة:-"كيف تقولين هذا وأنتِ التي تظهرين فيه!؟"
عادت تهز كتفيها، وهي تجيب بسؤال ساخر:-"وما الذي يجعلك واثقة هكذا!؟"
قالت (نادين) في صرامة:-"اسمعي أيتها الفتاة.. هناك أربع حالات قتل بشعة، وأنتِ المشتبه به رقم ١".
التفت إليها (مراد) قائلاً في سخرية:-"لا داعي لإخبارها بما حدث؛ فهي تعلم جيدًا".
رمقته الفتاة بنظرة خاصة، ثم تنهدت قائلة وهي تتحرك في أرجاء غرفة الاستقبال الفسيحة:-"هل أصبحتم تلقون بالاتهامات على الأبرياء هكذا!؟"
ثم أشارت بيدها وهي تستطرد:-"إنني أعيش مع والدي المسن المريض".

التفتا (مراد) و(نادين) إلى حيث أشارت، فقطب الأول حاجبيه في شدة، وهبط قلب الثانية؛ فعلى ضوء خافت، لاحظا وجود رجل ما يجلس على كرسي متحرك في إحدى الأركان المظلمة بالغرفة، معطيًا ظهره لهم، وممسكًا بكأس كبير في يده. بينما تتابع الفتاة مستطردة:-"وليس لنا أي علاقة بأي شيء؛ فنحن لا نختلط بأحد أو نتكلم مع أحد، وتعاملاتنا مع الجميع محدودة جدًا".

ساد الصمت للحظات، بينما عادت الفتاة لتقترب منهما، قائلة بلهجة قاسية:-"ومادام لا يوجد دليل، فإن وجودكما غير مرغوب فيه".

وهنا تصاعدت ضحكة ساخرة من (مراد)، وهو يقول:-"ومن قال أنه لا يوجد دليل!؟"

بادلته الفتاة بابتسامة ساخرة، وهي تقول في تهكم:-"وما هو أيها الضابط الهمام؟؟"

تجمدت ملامح (مراد) فجأة، وهو يقول بصوت بارد كالثلج:-"رائحة الدم الطازج التي تملأ المكان".

ثم تحرك متجهًا إلى الرجل الجالس، في خطوات بطيئة جدًا، وهو يتابع بصوت قوي صارم:-"فهل يا تري السائل الذي يحتسيه الآن هو دماء الضحية الخامسة؟ أم أكياس الدم التي سرقتموها من المستشفى الموجود بالمبنى؟"

وضع يده في جيب سرواله، والتفت متجهًا ناحية الشرفة الكبيرة المدمجة مع حجرة الاستقبال، والتي يغطيها الزجاج، وهو يتابع:-"وبالطبع ستغادران إلى دولة أخرى، ويعاد نفس السيناريو البشع، مستخدمين خمس ضحايا آخرين".

رمقته الفتاة بنظرة خاصة، ثم قالت:-"مازلت لا أعرف عن ماذا تتكلم".

وقف (مراد) أمام زجاج الشرفة المطلة على الشارع، ورد في صرامة دون أن يلتفت إليها:-"ربما ستعرفين عندما أقوم بتفتيش الشقة، وأخذ بصماتك وبصمات والدك المزعوم هذا".

وهنا تابعت (نادين) في ثقة:-"وبالتأكيد سنكتشف الكثير من المفاجآت".

أخذت الفتاة تنظر إليهما بنظرات صامتة، إلى أن التفت إليها (مراد) يسألها بلهجة لاذعة:-"قولي لي.. ألم يمل رجلك هذا من امتصاص دماء البشر طوال القرون الماضية!؟"

ضاقت عينا الفتاة، وهي تقول بصوت أشبه بفحيح الثعبان:-"لا داع لاستفزازه أيها الضابط؛ فأنت لا تعرفه جيدًا".

هتف (مراد) بابتسامة واثقة، وهو يعود في هدوء ليقف بجوار (نادين):-"بل أعرفه جيدًا؛ فمن في هذا العالم لا يعرف الكونت (فلاديمير دراكولا).. بنفسه!؟"

وهنا تحركت الفتاة، واتجهت ناحية باب الشقة، وهي تقول بلهجة عجيبة: "خطأ!"

وبينمـــا يتابعهـــا (مـــراد) بعينيـــه، وكـــل عضـــلة مـــن عضـــلاته متحفزة، همست له (نادين):- "يبدو أنها ستهرب".

هز (مراد) رأسه نافيًا في بطء، في حين شرعت الفتاة بدس مفتاح في الثقب المخصص له بباب الشقة، وإدارته عدة مرات، لتغلقه بإحكام من الداخل، بالإضافة إلى تحريك مزلاجين مثبتان فيه، أحدهما بالأعلى والآخر بالأسفل، فقال (مراد) ساخرًا:- "هل أعتبر ذلك اختطافًا؟"

تجاهلت سخريته، وقالت وهي تتجه إليه عائدة:- "كان من الخطأ تركك حيًا في القصر".

ابتسم (مراد) وهو يقول بلهجة قاسية:- "فلنلعب إذن بأوراق مكشوفة".

أشارت هي لشيء ما خلفه، وهي تقول:- "لقد بدأنا اللعب بالفعل".

التفت (مراد) ورائه، و...

واتسعت عيناه بشدة عندما اصطدمتا بـ...

بذلك المسخ البشع الأشبه بالماعز، والذي ظهر له بالقصر.

وبدا أن المواجهة ستكون هذه المرة مختلفة.

ورهيبة.. جدًا!

** ** ** **

(١٣) القتلة...

اقترب المخلوق البشع، بوجهه المفزع، من وجه (مراد)، الذي تراجع خطوة إلى الوراء، وامتدت يده تبحث عن يد (نادين)، ثم التفت إليها، لكنه وجدها وقد بدت أشبه بتمثال من الشمع؛ بملامح جامدة، وعيون واسعة لا تتحرك، وجسد متجمد. وفجأة سقطت فاقدة للوعي! انحنى سريعًا ليطمئن عليها، فوجد الفتاة تقول له في تهكم:- "أنت إذاً تملك قلبًا رقيقًا. اطمئن أيها الضابط. زميلتك تغط في نوم عميق".

رفع عينيه إليها، وهو يقول بصوت غاضب صارم وقاسي:- "تملكين قدرة خطيرة في التأثير على عقول الآخرين".

ردت عليه قائلة:- "سأعتبر هذا إطراءً أشكرك عليه، مع العلم أن قدرتي ليست في التأثير فقط، بل تتعدي ذلك إلى القتل أيضًا عن طريق تجميد عمل الإشارات العصبية في المخ، مما يؤدي إلى الشلل، ومن ثم الموت".

نهض، وهو يقول لها في تحدٍ:- "ولكن أنتِ تعلمين أن قدرتك هذه تقف عاجزة أمام عقلي".

- "ربما، ولكنني أعتبرها ورقة رابحة للسيطرة على الأمور؛ فإما أن تساعدنا للخروج من الحصار الذي تسببت أنت في وجوده، أو نقتلها ونقتلك أيضًا".

أشـار إلـى المخلـوق قـائلاً فـي سـخرية ولامبـالاة:- "وهـل هـذه الدمية هي التي ستقتلني!؟"

أطلق المخلوق المرعب صراخًا حادًا مفزعًا غاضبًا، فمال (مراد) بوجهه إلـى الأمـام، واقتـرب منـه بثبـات نـادر، وهـو يقـول لـه فـي تحد واضـح:- "كنـت أتسـاءل كيـف أمكنـك النجـاة، رغـم أن أهـل مقاطعة (ترانسيلفانيا) الرومانيـة قـاموا بـالقبض عليـك بمسـاعدة الأتراك، وغرس وتـد خشـبي فـي قلبـك!؟ لمـاذا تتحـول إلـى مـاعز رغـم أنــه مــن المفتــرض أن تتحــول إلــى خفــاش كمــا تقــول أسطورتك!؟ ما سر اختيـار ضـحاياك مـن ذوي فصـيلة الـدم (-O)؟؟"

ثم أشار إلى الفتاة وهو يتـابع:- "ومـن تلـك الفتـاة التـي تسـاعدك في جرائمك؟؟؟"

هُيِّئ لـه أن المخلـوق ينصـت باهتمـام إلـى مـا يقولـه. وبعد لحظـات قليلـة من الصمت، وببطء عجيب، أخذ كيان المخلوق يتحول أمـام عينيه، من شكل الماعز إلى شكل بشـري آدمي، استقرت ملامحه لتشبـه إلـى حـد كبيـر تلـك الصـورة الشـهيرة للكونـت (دراكـولا)، باسـتثنـاء الوجـه الشـاحب، والعينـين الـدمويتين، والوجـه الملـيء بالتجاعيد العميقة المخيفة، حتى قال (مراد) بقوة وصرامة وهو يتفحصــه:- "الكونـت (فلاديميـر دراكـولا).. أنـت مقبـوض عليـك بتهمة القتل العمد لمئات الضحايا مع سبق الإصرار والترصد".

أطلق الكونت ضحكة مجلجلة، بدت وكأنها قادمة من أعمق أعماق الجحيم:ـ "أنت شجاع للغاية أيها الضابط.. وأعترف أنني لأول مرة أرتكب مثل هذا الخطأ القاتل، عندما اكتفيت بتقييدك وعدم قتلك؛ فلو كنت فعلتها وقتلتك لما تم كشف أمرنا هنا.. في وطنك".

ـ "ولماذا لم تقتلني!؟"

ـ "أولاً: كنت أتصور أنك ستخرج من القصر وتحكي ما رأيته بالداخل، وبالتالي يبتعد الفضوليين عنا. ثانيًا: كنت أريد أن أفحص عقلك؛ فعقلك فريد من نوعه، لا يمكن اختراقه، كذلك قلبك؛ فأنا كنتُ ولازلتُ أستمتع بسماع نبضات قلوب ضحاياي، وهي تتسارع وترتجف من رؤيتي، سواء بشكلي هذا أو وأنا في حالة التحول. ولكن قلبك ـويا للعجب!ـ نبضاته ثابتة منتظمة، وهذا يدل على شجاعة نادرة تجبر الأعداء على احترامها قبل الأصدقاء".

عادت الابتسامة الساخرة على وجه (مراد)، وهو يقول بلهجة لاذعة:ـ "سأعتبر هذا إطراءً أشكرك عليه".

تجاهل الكونت عبارته، واستمر يقول وهو يتحرك مبتعدًا عنه:ـ "يتصور العالم كله أنني في عداد الأموات، ولكن الحقيقة أن العثمانيين وبمساعدة أهالي المقاطعة قد قاموا بإعدام أخي التوأم".

تجمدت ملامح (مراد)، وقطب حاجبيه وهو يكرر في دهشة حقيقية:- "التوأم!؟"

جلس الكونت على أقرب مقعد وهو يتابع:- "نعم.. لقد كنا توأمين، وقمت باستغلال ذلك جيدًا لإرهاب الجميع بالظهور المتعمد في مكانين مختلفين؛ ليتصور الكل بأنني ساحر رهيب، وهو ما يزيد من نشوة الشعور بالقوة والسيطرة لدي. ولكن مات أخي، وهربت بعيدًا على أمل العودة مرة أخرى. ولكن كانت الدولة العثمانية قد أحكمت سيطرتها على جزء كبير من أوروبا، ومرت السنوات وضاع حلم العودة، وأصبحتُ أتنقل في الخفاء من مدينة إلى أخرى، أعيش على دماء البشر والحيوانات والطيور. ومع تقدم العمر بدأت أشعر بالضعف، وداخل كهف من كهوف جبال الألب قررت التحالف مع الشيطان، ووهبت له روحي لأكون له خادمًا على الأرض، وسمعت صوته الرهيب وهو يرحب بهذا التحالف، ووعدني باستعادة قوتي، بالإضافة إلى الشيء الذي أحلم به طوال حياتي.. وعدني بالخلود!"

هز (مراد) رأسه نافيًا، وهو يتجه إلى المقعد المقابل لـ (دراكولا)، ويجلس في استرخاء عجيب وكأنه في منزله، قائلاً في هدوء لا يتناسب مع هذه المواجهة الرهيبة:- "مستحيل أيها الكونت.. أنت بذلك تتجاوز قانون الحياة الصارم؛ فلا أحد يستطيع أن يهبك الخلود. حتى الشيطان نفسه يعلم تمامًا أن

الخلود صفة إلهية تخص الله سبحانه وتعالى وحده، والذي لا شريك له".
- "للأسف كلماتك هذه لا تتفق مع واقعي فمازلت حيًا رغم مرور القرون".
- "ربما منحك الشيطان بضعة مئات من السنوات، ولكنه لن يمنحك الدهر كله".
مال الكونت إلى الأمام قليلاً، وهو يقول بلهجة مخيفة:- "الشيطان لا يموت أبدًا".
قال (مراد) في ثبات:- "على العكس تمامًا؛ كل مخلوقات الأرض والسماء لها نهاية، والشيطان يموت بموت آخر مخلوق يوم القيامة، والذي لا يعلم موعده إلا الله سبحانه".
ثم اعتدل في مجلسه، وهو يستطرد متسائلاً بلهجة ذات مغزى خاص:- "ثم دعني أسألك.. هل تشعر بأنك مازالت بكامل قوتك مثلما كنت في الماضي؟"
بدا الارتباك للحظة على وجه الكونت، إلا أن ذلك لم يمنعه أن يتساءل في برود:- "ماذا تقصد بالضبط؟"
- "أقصد أن شيئًا طرأ لك منذ عشر سنوات".
ثم أضاف بلهجة ذات مغزى:- "شيئًا مثل فصيلة الدم -O".
صمت الكونت للحظات، تبادل خلالها نظرات خاصة مع الفتاة، ثم قال بعد أن تنهد بصوت أشبه بفحيح الثعبان:- "جسدي لم يعد يتقبل سوى أصحاب فصائل الدم -O.. وأيضًا عملية التحول

تبدلت، لأصبح على الهيئة التي رأيتني بها، وهي تروق لي كثيرا، و..."

قاطعه (مراد) قائلاً:- "وبدأت تشعر بالضعف والوهن".

انتفض الكونت في مكانه، وقفز غاضبًا وعيناه تشتعلان من الغضب، بينما يتابع (مراد) بلهجة مستفزة، وهو مازال جالسًا:- "لقد تخلى عنك الشيطان، لذلك أردت هذه المرة استدعائه عبر تلك الطقوس الدموية داخل قبو القصر".

هتف الكونت بلهجة بدت كصيحة مرعبة رهيبة:- "كل ما تقوله لن يزعزع ثقتي بالشيطان".

ابتسم (مراد) قائلاً في هدوء عجيب:- "كل من تحالفوا مع الشيطان خسروا".

عاد الكونت للجلوس، وهو يقول وسط ابتسامة شرسة ساخرة:- "خسارة!! الأمير (دراكولا) لا يعرف الخسارة أو الهزيمة. والدليل أنه لم يستطع أحد أن يقف في طريقي حتى الآن".

هز (مراد) كتفيه في لامبالاة قائلاً:- "من يعلم!؟ ربما في الدقائق القليلة القادمة سيشهد الشيطان بنفسه نهايتك".

قابله الكونت بضحكة ساخرة عالية، ثم قال:- "أنت شخصية فريدة من نوعها بالفعل أيها الضابط.. ولكنك مع الأسف تمتلك حماقة سخيفة بنفس قدر امتلاكك للشجاعة والجرأة".

ثم استطرد بتحدٍ واضح:- "فبالنظر إلى موقفك الحالي، من المستحيل أن تهرب حيًا وأنت بين اثنين من الشياطين".

ابتسم (مراد) ابتسامة صغيرة، وهو يلتفت إلى الفتاة، التي كانت تتابع حديثهما، وقد بدت كتمثال من الشمع، قائلاً وهو يشير إليها برأسه:- "ومن تلك الشيطانة؟"

نظر الكونت إلى الفتاة، ثم التفت إلى (مراد)، وقد ظهرت ابتسامة عجيبة على ملامحه الرهيبة، وهو يقول:- "ضابط ذكي مثلك بالتأكيد سيعرفها. اسمها (مارتي ريبولس)".

انتفض (مراد) في مكانه، وعاد يقطب حاجبيه وهو ينظر إليها في ذهول، ثم قال في حزم وهو ينهض ببطء، ويتجه إليها:- "(مارتي ريبولس).. أشهر قاتلة أطفال في التاريخ الحديث.. تعيش على بقايا الأطفال ودمائهم وأشلائهم، وتستخلص من شحومهم خلطة سحرية خاصة، ما إن يتم دهانها على الجلد، حتى تعيد له نضارته وشبابه بصورة سريعة مذهلة".

ثم تنهد بعمق وهو يستطرد:- "هذا إذًا يفسر وجود الموقد والإناء وأشلاء الأطفال بالقبو".

قال الكونت بصوت عميق:- "أول لقاء لي معها كان في برشلونة بأسبانيا، حيث كانت تعيش هناك. ولا أنكر أنها أبهرتني بأفكارها وعشقها للدماء".

التفت (مراد) إليه وهو يقول:- "ولكن ما أعرفه أن (مارتي ريبولس) بعد أن تم القبض عليها، وُجِدت مشنوقة داخل زنزانتها عام ١٩١٢".

رد الكونت بلهجة متهكمة بعض الشيء:- "لا تصدق كل ما يذكره المؤرخون في كتب التاريخ".

ولأول مرة منذ فترة طويلة، تتكلم (مارتي) قائلة:- "لقد ساعدني الكونت على الهرب، ومنذ ذلك الحين وأنا معه".

غمغم (مراد) متسائلاً:- "كيف إذًا..."

قاطعه الكونت مكملاً:- "عاشت معي كل هذه المدة؟ أليس هذا سؤالك؟ والإجابة هي أنني رجوت من الشيطان وصليت له لكي تبقي معي إلى الأبد. وقد استجاب وأوحى لي بأن أقوم بحقنها كل عام بحقنة من دمائي التي تحوي روحه.. هذه الحقنة مع غذائها من أشلاء ودماء الأطفال، بالإضافة إلى تلك الخلطة السحرية التي تصنعها منهم. كل ذلك يجعلها محتفظة بشبابها ونضارتها حتى الآن. وعندما أصبحت لا أتناول سوي (O-)، ومع أول حقنة مني بعد ذلك، حدثت مفاجأة عجيبة، حيث أصبح لديها قدرة كبيرة لقراءة الأفكار والتأثير على الآخرين، وهذا ساعدني كثيرًا في تيسير حصولي على وجبتي السنوية من الدماء".

قال (مراد) في سخرية لاذعة:- "يا لكما من ثنائي مثالي ومتكامل! قتلة مع مرتبة الشرف. يجب وضع أسمائكما في لوحة المتفوقين على أبواب الجحيم".

نهض الكونت من مكانه، واتجه ببطء ليقف بجوار الفتاة، وهو يقول:- "لا داعي بأن تصفنا بالقتلة أيها الضابط؛ فنحن نحصل على غذائنا فقط. أنا احتاج في العام الواحد إلى ٣٠ لتر من

الدماء تقريبًا، وهذا يساوي خمسة أشخاص. وهي تحتاج من ١٠ إلى ١٢ طفل فقط في العام الواحد، أيضا تختارهم من أطفال الشوارع المشردين، والذين لا يسأل عنهم أحد".

صمت (مراد) للحظات، وهو ينظر إليهما بعيون يملؤها الاشمئزاز والحنق والغضب، وانتقل ذلك إلى صوته، وهو يغمغم بلهجة لاذعة:- "يا للقناعة السخيفة!"

التفت الكونت إلى (مارتي)، قائلاً بلهجة ذات مغزى:- "أعتقد قد حان الوقت لتحقيق أمنيتك بخصوص هذا الضابط".

تحركت ببطء ناحية مكتبة تليفزيونية أنيقة، وتحفزت عضلات (مراد) وهو يراقب يدها، وهي تمتد إلى أحد الأرفف العلوية، لتُخرج ساطورًا رهيبًا لامعًا، وتحولت ملامحها الجميلة إلى ابتسامة وحشية، وهي تقول بصوت مخيف، متجهةً نحوه:- "سأستمتع حقًا بتحويل جسده هو وزميلته إلى قطع من اللحم الطازج".

ابتسم (مراد) وهو يقول ساخرًا:- "أعتذر يا سيدتي؛ فأنا وزميلتي لسنا بالغذاء المناسب لمعدتك".

وفجأة، وبسرعة كبيرة، أخرج من سترته مسدسه، وصوبه نحوهما، فتوقفت الفتاة ونظرت إلى الكونت، وانفجر الاثنان في ضحكات شرسة، قال الثاني بعدها:- "أعتقد أنك تعلم جيدًا بأن رصاصاتك هذه لن تجدي معنا".

صاح (مراد) بلهجة لاذعة:- "أخطأت في قولك هذا أيها الكونت؛ فمسدسي سيطلق رصاصة واحدة، هي بمثابة..."

ثم هتف فجأة بقوة:- "إشارة اقتحام!"

ورفع يده ليطلق رصاصة، استقرت بدوي هائل بسقف الحجرة، و...

وتوالت الأحداث بسرعة مذهلة!

** ** ** **

(١٤) النهاية...

فجأة تحطم باب الشقة بدوي عال، ليندفع عبره رجال الأمن المدججين بأسلحتهم، وينتشرون في الداخل بتتابع سريع منتظم، بينهم رجلان أحدهم يحمل جهازًا إلكترونيًا متوسط الحجم، والأخر يمسك بكلتا يديه جهازًا آخر يشبه في شكله المسدس الكبير، صوبه في سرعة مذهلة تجاه الكونت، الذي بدأ جسده يتحول إلى شكل المخلوق البشع الذي يشبه الماعز، إلا أن شيئًا ما انطلق من المسدس لينغرس في عنق الكونت، الذي ظهر الألم الرهيب على وجهه، وقد توقفت عملية التحول وعاد بسرعة إلى هيئته الأولى، وسقط فجأة أمام الجميع على الأرض بجوار (نادين)، وقد انتفض جسده للحظة ثم سكن وعلى ملامحه الذهول الشديد، بينما عيناه كانتا تتحركان داخل مقلاتهما في حيرة، عندما وجد نفسه عاجزًا عن تحريك جسده، وفي نفس الوقت صرخت فيه (مارتي) صرخة رهيبة، واندفعت بسرعة الصاروخ ناحية (مراد)، شاهرةً الساطور أمام وجهه في مشهد مرعب، فما كان من (مراد) إلا أن تحرك متفاديًا هجومها بحركة رشيقة، إلا أنها دارت على عاقبيها بسرعة عجيبة؛ في محاولة منها لإعادة الكرة. ثم تجمدت مكانها فجأة، عندما شعرت بشيء

ما يصيب عنقها، وقد شعرت بالشلل يسري في جسدها، لتسقط مكانها على الأرض ذاهلة.

ساد الصمت للحظات. كان الجميع ينظرون في ترقب إلى جسدي (الكونت) و(مارتي).

وهنا ظهر اللواء مدير إدارة قسم قضايا فوق العادة، وهو يعبر مدخل الشقة في حزم، ويتجه إلى الكونت (دراكولا)، الذي يحاول تحريك جسده دون جدوى، حتى توقف بجانبه. وفي هدوء انحنى ينظر إليه قائلاً له في سخرية:- "مرحبًا بك في مصر أيها الكونت".

ثم التفت إلى (مراد) وهو يستطرد في إعجاب:- "أعتقد أن خطتك نجحت بجدارة أيها المقدم".

ابتسم (مراد)، وهو يتجه صامتًا إلى (نادين)، التي استجابت لأيدي المسعفين، وفتحت عينيها بصعوبة، والتفتت يمينًا ويسارًا، ثم اتسعت عيناها في ذهول، وهي تتأمل المشهد أمامها، وهتفت بـ (مراد) قائلة:- "ماذا حدث!؟"

ضحك (مراد) ضحكة صافية، وهو يجيب في اقتضاب:- "الكثير".

وابتسمت (نادين)، عندما شعرت أن ضحكته تحمل معنى واضحًا جدًا..

النصر!

** ** ** **

تعالت الضحكات الهادئة داخل إحدى الغرف بمستشفى الشرطة، حيث ترقد النقيب (دعاء) فوق سريرها، قائلةً لزميلتها (نادين) في مرح:- "أول قضية مع المقدم (مراد) قابلتِ الكونت (دراكولا) الحقيقي وجهًا لوجه. وأنا كانوا سيقدمونني قربانًا للشيطان. لقد شعرتُ بأنني بطلة داخل فيلم رعب غربي".

ابتسم (مراد) في صمت، بينما قالت (نادين) بلهجة اكتسبت بعض الجدية:- "الحقيقة العمل مع المقدم (مراد) متعة حقيقية؛ فلقد تعلمت منه الكثير".

قالت (دعاء) وهي تنظر لـ (مراد):- " وعلى الرغم من ذلك كان يبدو عليه أنه رافض لوجودنا معه في هذه القضية".

هز (مراد) رأسه نافيًا، واعتدل في جلسته، وهو يقول في هدوء:- "ليست مسألة رفض أو قبول؛ فكل ما هنالك أنني اعتدت على العمل وحدي وهذا أولاً. أما ثانيًا، فكنت أخشى عليكما من إصابتكما بأي مكروه لا قدر الله".

ثم استطرد قائلاً وهو ينظر إليهما:- "وها قد رأيتما مع من نتعامل".

تبادلت (دعاء) و(نادين) النظرات الباسمة، في حين سألت الأولى باهتمام:- "ولكن قل لي أيها المقدم.. لماذا لم تذكر لـ (نادين) خطتك الذكية للوقوع بـ (دراكولا) و(مارتي)؟؟"

نهض (مراد) وهو يتنهد بعمق، قائلاً وهو يسير في أرجاء الغرفة:- "قبل أن أجيب على سؤالك، أحب أن أوضح أنه،

وعندما جلست مع المدير، وفي الوقت الذي ذهبت فيه (نادين) للقيام بالتحريات حول السيدة (هناء)، التي تم ذكر اسمها على لسان الضحية الثالثة، كنت واثقًا من نقطتين هامتين. الأولى: أنه ولسبب ما لم يستطع القتلة التأثير على عقلي، والثانية أنهما موجودان في ذلك الشارع الذي يقع فيه القصر. لذلك وضعت خطة سرية، تعتمد على وجود فريق خاص من المباحث، مهمتهم مراقبتي أنا و(نادين) أثناء وجودنا في ذلك الشارع، وعندما ذهبنا إلى البناية رقم (٣٣٣)، ودخلنا الشقة رقم (٢١)، تعمدت أثناء حديثي مع (دراكولا) و(مارتي) أن أقف في مواجهة تلك الشرفة التي يغطيها الزجاج، حتى يراني رجال المباحث، ويعرفون أين أنا بالضبط. وبالفعل نفذوا خطتي ببراعة، وقاموا بتسجيل ما حدث صوتًا وصورة، عن طريق أحدث تقنيات التجسس عن طريق إرسال شعاع خاص من الليزر من مسافة بعيدة، مهمته تسجيل ذبذبات الصوت، وتحويلها إلى أكواد، ثم يقوم برنامج إلكتروني خاص بفك هذه الأكواد وتحويلها إلى كلمات واضحة ومسموعة".

ثم ضاقت عيناه قليلاً وهو يستطرد:- "خطتي أيضًا كانت تعتمد على سرعة السيطرة على عملية تحول (دراكولا) وقدرات (مارتي) الخاص، وذلك عبر جهاز طبي خاص يستخدم في العناية المركزة، وظيفته قياس نبضات المخ".

غمغمت (دعاء) مكررة في دهشة:- "نبضات المخ!؟"

هز (مراد) رأسه بالإيجاب، وهو يتابع:- "نعم؛ فالكثيرون يتصورون أن القلب هو الجهاز الوحيد النابض داخل أجسادنا بمعدل ٧٠ نبضة في الدقيقة، ولكن الحقيقة أن المخ ينبض أيضًا؛ فهو بمثابة قلب آخر تتراوح نبضاته بين ١ إلى ٥٠ نبضة في الثانية. هي نبضات غير محسوسة؛ لأنها ليست ميكانيكية كالقلب البطيء نسبيًا بالمقارنة مع المخ. وكل ما هناك أنني جعلت أحد الأطباء يضبط الجهاز على تقليل عدد نبضات المخ لتصل إلى الحد الذي يعمل فيه المخ أثناء حالة السكون والاسترخاء، وهو ما حدث لـ (دراكولا) و(مارتي)، عندما أطلقنا على كل منهما حقنة إلكترونية خاصة، متصلة لاسلكيًا بالجهاز، عملت على تعطيل إشارات المخ، وتعديل سرعة نبضاته، وتقليلها إلى أقل حد ممكن. هذا الحد كان كافيًا لشل حركتيهما تمامًا".

هتفت (نادين) بحماسة:- "رائع يا سيادة المقدم!"

ابتسم (مراد) ابتسامة صغيرة، ثم استطرد بجدية شديدة قائلاً:- "نعود إلى سؤال (دعاء). وإجابته ببساطة بأنه لو علمت (نادين) بهذه الخطة، لكانت (مارتي) هذه قد علمت بها أيضًا بمجرد أن فتحت لنا باب الشقة، عن طريق قدرتها الخاصة في قراءة الأفكار وما بداخل العقول. لذلك كنت حريصا على ألا تعلم (نادين) بالخطة الأصلية، وأعتقد أن هذا أفادنا كثيرًا".

ظهر الإعجاب الشديد على وجه (دعاء) وهي تقول:- "خطتك عبقرية حقًا يا سيادة المقدم!"
ثم نقلت بصرها بينه وبين (نادين)، وقالت بلهجة لها معنى خاص:- "أتمنى لكما التوفيق".
تبادل (مراد) مع (نادين) نظرات الدهشة، بينما تابعت هي:- "لقد فكرت كثيرًا، ووجدت أن العمل بقسم [قضايا فوق العادة] يحتاج إلى قدرات خاصة لا أملكها في الواقع".
قالت (نادين) في استنكار:- "إصابتك هذه كانت في بداية أحداث القضية، ولم يكن هناك مجال للممارسة الفعلية، وبالتالي لا يمكنك الحكم على نفسك بهذا الشكل".
صاحت (دعاء):- "صدقيني يا (نادين).. إنني بالفعل لم أجد نفسي وسط هذه النوعية من القضايا.. ثم..."
صمتت للحظات، قالت بعدها بلهجة حاولت أن تكون مرحة:- "ثم أنني ومع أول مغامرة كنت سأكون قربانًا للشيطان، ولا أستطيع أن أتخيل ماذا سيحدث لي في المرة القادمة".
التفتت (نادين) قائلة إلى (مراد)، الذي كان يتابع حوارهما في صمت:- "ما رأيك يا سيادة المقدم؟"
هم (مراد) بقول شيء، إلا أن تصاعد رنين هاتفه المحمول، فنظر إلى شاشته، ثم رفعه إلى أذنه باهتمام وهو يقول بلهجة عسكرية:- "معك المقدم (مراد) يا سيدي".

وما هي إلا لحظات حتى تجمد وجهه، ثم هتف بصوت غاضب مخيف هبط له قلب (نادين):- "وكيف حدث ذلك؟؟"

قطب حاجبيه، وهو يستمع إلى ما يقوله مديره. وبعد دقيقة تقريبًا أنهي المكالمة في وجوم، فهتفت (نادين) في جزع:- "ماذا حدث؟؟"

غمغم (مراد) في غضب واضح:- "لقد هرب (دراكولا) ومعه (مارتي)".

اتسعت عينا (نادين) في ذهول عظيم، وهتفت (دعاء) قائلة في دهشة متعجبة:- "ماذا!!؟ بعد كل ذلك!!؟ كيف؟؟"

قال (مراد) في سخط واضح:- "لقد تم نقلهما في سيارة إسعاف خاصة؛ كضمان لاستمرار عمل جهاز قياس نبضات المخ، ووسط حراسة مكثفة. وبحسب أقول رجال الأمن، فقد توقفت السيارة فجأة، ويبدو أنها أصيبت بعطب ما في الكهرباء، الأمر الذي جعل الجهاز يتوقف عن عمله، وبالتالي استعاد (دراكولا) والفتاة (مارتي) قدراتهما وهربا".

قالت (نادين) في توتر:- "وبالطبع رصاصات رجال الأمن لم تمنعهما من الهرب".

هز (مراد) رأسه بالإيجاب في صمت، ورن هاتفه مرة أخرى، فعاد (مراد) يرفعه بجوار أذنه، وهو يهتف في حنق واضح:- "من معي؟"

ومرة أخرى تجمدت ملامحه، وانعقد حاجباه بشدة، وهو يسمع صوت (دراكولا) آتيًا من الطرف الأخر يقول له في شماتة واضحة:- "مرحبًا أيها الضابط.. هل افتقدتني؟"

خرج صوت (مراد) غاضبا مكتومًا وهو يقول:- "هل تتوقع بهروبك هذا أنك انتصرت!؟ أنت واهم.. لأنني سأبحث عنك.. وسأجدك".

شحب وجه (نادين)، وقد استنتجت أن (دراكولا) على الطرف الأخر، والذي هتف وسط ضحكة ساخرة شرسة قائلاً:- "بل أنت الواهم.. لا تصدق أنك المنتصر في النهاية. خطتك هذه رغم عبقريتها إلا أنها ساعدتني على الهرب من الحصار الذي فرضته أنت بالمنطقة، بينما قام الشيطان بنفسه بمساعدتي على الهرب من الشرطة".

صاح (مراد) في غضب هادر:- "أقسم لو أنك مسست ضحية أخرى، فستكون نهايتك أنت وشيطانك هذا".

قاطعه (دراكولا) بصيحة هادرة مخيفة:- "لن تستطيع فعل شيء.. ولقاؤنا سيكون قريبًا جدًا أيها الضابط".

ثم أنهى الاتصال فجأة، فتدفقت دماء الغضب في وجه (مراد)، واندفع إلى خارج غرفة (دعاء)، ولاحقته (نادين) بممر المستشفى هاتفة:- "سيادة المقدم.. سيادة المقدم..".

توقف فجأة، والتفت إليها، فصاحت به في سرعة:- "هل ستبحث عنه وحدك؟"

تأملها للحظات في صمت، ثم لانت ملامحه قليلاً وهو يقول بصوت جاد:- "بل سنبحث عنه معًا".

وانطلق الاثنان، معلنين مولد فريق خاص، سيخوض مغامرة جديدة تحت اسم واحد..

(قضايا فوق العادة)!

** ** ** **

تمت بحمد الله

الفهرس

صدر من سلاسل الجيب:

سلسلة تيوليب الرومانسية للجيب:

١_ حقيقة حب	رباب فؤاد
٢_ ذات الوشاح الأخضر	رانيا حجاج
٣_ نصف ملاك	رباب فؤاد
٤_ حكاية سرية	عبير قائد
٥_ حارسة القصر	ميرفت البلتاجي
(عدد خاص) عزيزة مونرو	رانيا حجاج

سلسلة أعازيف للرعب:

١_ رحلة الخلاص	كريم محمد علي

سلسلة قضايا فوق العادة:

١_ بصمات الدم	محمود أحمد عبد المنعم